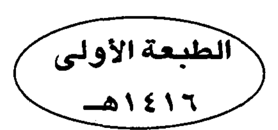
التحذير الجديد
من مختصرات الصابوني في التفسير

تأليـــف

محمد بن جميل زينـو

تقـــديـم

بكر بن عبدالله أَبو زيد



الصف التصويري والإخراج الفني

دار التحف النفائس للطباعة والنشر والتوزيع

ⓒ دار التحف النفائس الدولية، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زينـــو ، محمـــد جميـــل

التحذير الجديد من مختصرات الصابوني في التفسير

٨٠ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم .

ردمك : ٤ – ٢ – ٩٠٩٨ – ٩٩٦٠

١– القرآن ـ التفسير الحديث ٢– القرآن ـ دفع مطاعن

أ– العنـــــــوان

ديـوي ٢٢٧,٦ ١٦/١٠٣٣

رقم الإيداع : ١٦/١٠٣٣

ردمك : ٤ – ٢ – ٩٠٩٨ – ٩٩٦٠

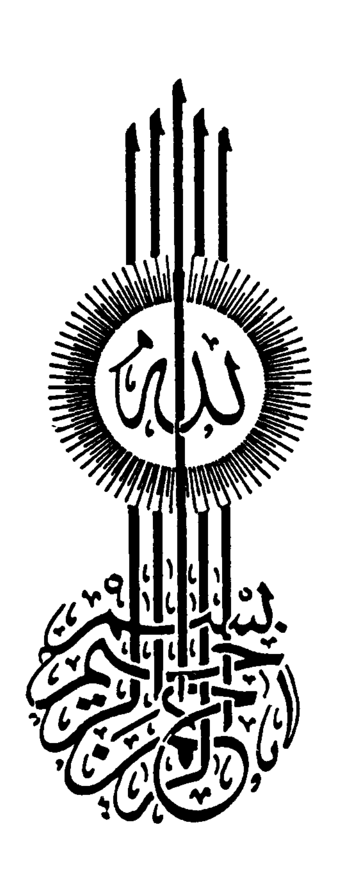


للنشـــر والتوزيـــع

هاتف : ٤٧٨٢٠٥٢ ـ فاكس: ٤٧٩٤٥٦٠

ص ب : ٤٣٣٥٢ ـ الرمز البريدي : ١١٥٦١

الرياض ـ المملكة العربية السعودية



موجز الكتاب

١ـ التحذير من مختصره لتفسير الطبري.

٢ـ التحذير من مختصر ابن كثير.

٣ـ مخالفات خطيرة في تفسير جديد.

٤ ـ التناقض في كتابات الصابوني.

٥ ـ الافتراءات في كشف الافتراءات .

٦ ـ تنبيه مهم.

٧ ـ لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟

٨ـ أين الأمانة العلمية ؟

٩ـ وجوب النصيحة.

١٠ـ مناقشة الصابوني في جامعة أم القرى.

١١ـ الشيخ ابن باز يرد على الصابوني



تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله، وصحبه.
أما بعد: فقد صدرَ عن جماعة من علماء الأمصار في: السعودية، ومصر، والشام، والمغرب، والهند، وغيرها ما يزيد عن ثلاثين رَدًّا في كتاب، أَو رسالة، أَو مقالة، ذكرتها مفصَّلة في مقدمة كتاب:
«**التحذير الجديد من مختصرات الصابوني في التفسير**» جميعها في الردّ على عبث المذكور فيما يكتبه، ويختصره، ومنها ما طبعته جامعة الإمام، وقد صدر تعميم وزارة الحج والأوقاف رقم ٩٤٥/ ٢/ص في ١٦/ ٤/ ١٤٠٨هـ. متضمناً مصادرة كتابه: «**صفوة التفاسير**» وكان ذلك بناء على فتوى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
وكل هذه الردود تُجمِع على وصف هذا الصابوني العابث بثلاثة أُمور:

- إخلال بالأمانة العلمية.
- انحراف في الاعتقاد.
- تتابع في الجهل.

لهذا انحسر الناس عن مختصراته، وتورع عامة الكتبيين عن بيعها، وتوقف الصالحون عن نشرها وتوزيعها.
وكان المؤَمَّل ـ وقد توالت عليه النُّذُر ـ أَن يكف عن هذا العبث والتعالم لكن ما لبثَ أن جاء بطعام المضطر، مُتَحَلِّباً أشداق الكذب، مُنْحَدِراً منْ جَبينه المَعْصُوْبِ إلى شِقِّ قَلَمِهِ، يَرْقمُ بِهِ الكذب والتزوير، والتلبيس، وهذه المآثم، يفتل منها في الذروة والغارب، وذلك في رسالتين أَهَلَّ بهما لغير الله:
إحداهما: في أوراق سَوَّدَهَا بالرد على بعض أهل العلم الذين تصدوا لكشف تحريفاته، وجهالاته، منهم: فضيلة عضو هيئة كبار العلماء الشيخ صالح الفوزان.
وفضيلة أُستاذ التفسير بدار الحديث بمكة الشيخ: محمد بن جميل زينو.

بنى أَوراقه هذه على التلبيس، والتضليل، وتغرير القارئ وسمَّاها:
«**كشف الافتراءات**» وهي بعينها افتراء وكذب، فكشفت عن ذلك ـ ولله الحمد ـ في ملحق الطبعة الثانية لكتاب: «**التحذير**». كما بيَّن الشيخ الفوزان كذب الصابوني في تعقباته، وذلك في مقدمة الطبعة الثالثة عام ١٤١٢هـ في كتابه:
«**تعقبات وملاحظات على كتاب صفوة التفاسير**».

وثانيتهما: يرد بها على ما كتبته في كشف تحريفاته وهتك تلبيساته، ولم يتناول بالنقض ما أَثبتُّه عليه من تحريف، وتلبيس، وإِنَّما اشتغل بالتهويش والتهريج، وتأليب طوائش الأفهام، وليس في يده حق يتمسك به، فبنى أَوراقه على عناوين استفزازية، تستبطن الكذب وتستظهره بما لا يخفى على منصف.

وكنت شرعت في الرد عليه، ونكث مَا لَبَّس به من الكذب والأباطيل؛ لكن صرفني عن هذا أمران:

- **الأول**: أنني رأيته من أول وهلة في الكتاب يكذب علَيَّ كَذْبَةً صَلْعَاء، فَاجِرَةً خَلْعَاءَ، يَنْسبُ إِلَيَّ كلاماً مسجوعاً وأنه من سجع الكهَّان، ثم يُدندن عليه بالمحامل الخبيثة، والكلمات البذيئة السخيفة. وهذا الكلام ليس لي، وإِنَّما هو كلام العلاَّمة ابن القيم المتوفى سنة (٧٥١هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه:
«**بدائع الفوائد**»: (٣/ ٢٧٧) و«**إعلام الموقعين**»: (٤/ ٢٠٧-٢٠٨) كما أشرت إلى هذين المرجعين في الحاشية من كتاب: «**التعالم**»: (ص/ ٣٢) وجعلت كلام ابن القيم المذكور في صلب الكتاب بين حاصرتين هكذا: « » وقلت في آخره: انتهى كلام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ وهو من دُرره الغوالي.
فأي توثيق للنقل أكثر من هذا يا جريح الكذب؟!
لَمَّا رَأَيْتُ هذا الكذب والاستغفال للناس، ذهلت ذهولاً شديداً، كيف يتجرَّأ على هذا التزوير، والكذب المفضوح. لكنَّها سلسلة عمله في حياته التي استمرأها، فمن يكذب في تفسير كتاب الله على أهل العلم، وَيُقَوِّلُهم ما لا يقولون حَرِيٌّ أن يكون خَوْضُه في هذه الأذايا والمآثم خُلقاً له وَمَغْنَماً.

- **الثاني**: في بقية الكتاب جَرَّهُ الجهل إلى التجاهل، والغلط إلى التغالط وطغت

عليه كُدورة الطين، من السب، والشتم واللعب بعقول القرَّاء الذين لا يعرفون حقيقته، والذين لم يقفوا على كتاب «التعالم»؛ لهذا فإنَّ من قرأ قوله في أوراقه المحترقة فعليه إبْرَاءً لذمته، أن يقف على نص كلامي في كتاب: «التعالم». (ص/ ٣٢) وسيرى حينئذٍ، أن الحقيقة بيدي، والكذب بيديه، وعليه رأيت الكفَّ عن تتبعه في هذا؛ ولأنه مُبْتَلى بـ «**فيروسي الكذب والتزوير**» فهو يكشف نفسه بنفسه، ومن كان كذلك فلا يردعه المساوقة في الرَّد وإنما الواجب أن يُحال هذا الجريح إلى ملاجئ من شوهتهم حرفة القلم؛ ليُحْجَرَ عَلَيْه، اتقاء لِشَرِّه وردعاً لأمْثَاله، مع إلحاقه بأدب يردعه، ونفيه؛ فالحرم لا يعيذ عاصياً.

وبعد: فالآن هذا فضيلة أخينا في الله الشيخ محمد بن جميل زينو الحلبي ثم المكي يتابع تحذيراته من كتابات بلديِّه الحلبي المدعو: محمد علي الصابوني، فيقدم نصيحة للمسلمين التحذير الجديد باسم:

«**التحذير الجديد من مختصرات الصابوني في التفسير**»

وهو كتاب عَلَى وَجَازَتِهِ قوي في مادته، موثَّق في نُقوله، فجزى الله أخانا الشيخ محمد بن جميل على هذا القلم الجهادي خير الجزاء في سبيل صيانة العلم الشرعي من عبث العابثين، وجهل الجاهلين وحماية عباد الله المؤمنين من لصوص العقائد، وتجار القلم المتعالمين. والحمد لله رب العالمين.

كتب

بكر بن عبدالله أبو زيد

مدينة النبي ﷺ في ١٥/ ٨/ ١٤١٥هـ

***

المقـدمـة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.
وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فلقد اعتمدني سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مدرساً في دار الحديث الخيرية بمكة، وكلفتني المدرسة بتدريس مادة تفسير القرآن الكريم في المرحلة العليا من صفوفها، وكان المقرر في منهاجها: «**تفسير الجلالين**»، وكنت أرجع إلى كتب التفسير ورجعت إلى: «**مختصر تفسير الطبري**» لمحمد علي الصابوني، فاكتشفت فيه أموراً مذهلة مخلة بتفسير الطبري، بل بتفسير كتاب الله تعالى فرأيت إبراءً لذمتي، ونصيحة لمن شاء الله من إخواني المسلمين التنبيه على بعضها، تحذيراً من هذا المختصر المُخِل، ورعاية لحرمة كتاب الله وتفسير السلف له ـ من عبث العابثين وجهل الجاهلين، وغلط المتعالمين، ثم أضفت إليه ما لاحظته في مختصره «لتفسير ابن كثير» وفي مختصره الثالث لكتاب: «**روح البيان**» لإسماعيل حقي الذي سماه: «**تنوير الأذهان من تفسير روح البيان**».

وسترى ما في هذه المختصرات من مخالفات خطيرة لا يجوز إقرارها، ولا السكوت عنها.

وختمت هذا الكتاب بمبحث رابع عن بعض تناقضاته في ردِّه عليَّ وَعَلى غيري من الذين نصحوه بالكفِّ عن توظيف حياته في اختصار كتب السلف والتصرُّف المخِل فيها، وتناقضاته، وإظهار عقيدته المخالفة لاعتقاد السلف في مقالات يكتبها، ويُلبِّس بها. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محمد بن جميل زينو

***

(أولاً)

التحذير من مختصره لتفسير الطبري

كيف تم اكتشاف هذه المخالفات؟

إنَّ اكتشاف هذه المخالفات المهمة لم يكن مقصوداً، وقبل أن أذكر هذه المخالفات المهمة، لابُدَّ لي من ذكر ما أعلنه الكاتب[١] في مقدمة التفسير صحيفة (٥) حيث قال ما نصه:

«وهذا المختصر لتفسير الإمام الطبري ـ الذي نضعه بين يديك أيُّها القارئ الكريم ـ هو تفسير الشيخ الطبري نفسه، بل يكاد يكون كلامه بالحرف الواحد، ولكنه جاءَ متناثراً ضمن تفسيره الكبير، تناثر الورود والأزهار في الحدائق والرياض. . .

لم نأتِ بشيءٍ جديد من عندنا، وننسبه للشيخ الطبري، وإنَّما لخصناه من تفسيره، ونقلناه بأمانة ودِقَّة، من خلال تفسيره الجامع الواسع غير ما دعت الحاجة إليه، من زيادة كلمة أو حرف للربط بين الجمل، أو تغيير لفظة غامضة بكلمة واضحة، وأمثال ذلك مما يحتاج إليه أُسلوب التنقيح والتهذيب.

ولقد وضعنا بعض التعليقات الضرورية في أسفل الكتاب ليتميز عن كلام الشيخ الطبري، وذلك زيادة في التثبُّت وتحري الدقة، والاطمئنان إلى أن عملنا في غاية المستطاع من الجودة والإتقان، ولقد عهدت إلى أخي وصديقي العالم الفاضل اللامع الدكتور (صالح أحمد رضا) أُستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ليساعدني في هذا العمل الجليل، فتفضَّل مشكوراً بقبول ذلك، وتقاسمنا العمل بيننا، فبدأت من أول القرآن الكريم من سورة البقرة إلى نهاية سورة الإسراء، واشتغل أخي الكريم بالنصف الأخير منه، بدءاً من سورة الكهف إلى

---

(١) تنبيه: كلما ذكرت هذه اللفظة: «الكاتب» أو «قال الكاتب» ونحوهما، فالمراد المدعو: محمد علي الصابوني.

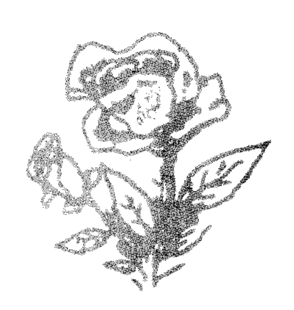
نهاية سورة الناس.

وحتى يكون العمل ـ في هذا المختصر ـ قد جاء في غاية الدقة والإتقان.. أعدتُ النظر في القسم الذي اختصره فضيلة الدكتور (صالح رضا) حفظه الله، ببعض الزيادة أو النقصان، وبعض التعليقات العلمية الضرورية، ليظل العمل في المستوى المنشود، الذي نحاول الوصول إليه... وليبقىٰ بروح واحدة مترابطاً، متناسقاً من بدايته إلى نهايته.. والكمال لله وحده».

أقول: هذا الادِّعاء الذي قال فيه الكاتب: **(ونقلناه بأمانة ودقة)!!**

هل التزم به ونفَّذه أم لا؟ هذا ما ستراه في هذا «**التحذير الجديد**» إن شاء الله تعالى.

* * *



الأفعال تخالف الأقوال

١- إنَّ الكاتب حذفَ الأحاديث، والآثار من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، والتي ذكرها الطبري في تفسيره، ولم يُشر إليها في مقدمة التفسير، فأوهمَ القارئ أن تفسير الطبري ليس فيه أحاديث ولا آثار، علماً بأن ذكرها مُهمٌّ جداً، فالحديث ـ بعد تفسير القرآن بالقرآن ـ هو خير مُفَسِّرٍ للقرآن، لأن الرسول ﷺ كما وصفه ربه تعالى:
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ . «النجم: ٣-٤»
ثم يأتي بعد ذلك أقوال الصحابة الذين أخذوا عن الرسول ﷺ.

٢- لو قال الكاتب: أردت الاختصار، فالجواب أن هذا الاختصار مُخِلٌّ بأصل التفسير الذي سار عليه الطبري، وكان بإمكانه أن يذكر قسماً منها، كما فعل في مختصر ابن كثير الذي أدَّعىٰ فيه أنه أثبت الصحيح، وحذف الضعيف، وقد وُجدَ في المختصر أحاديث ضعيفة أثبتها فيه: كقصة ثعلبة بن حاطب مع الرسول ﷺ، وهي غير صحيحة، وأثبتها في: «**صفوة التفاسير**» باسم «ثعلبة» وذكر اسم أبيه في المختصر.

٣- لقد أثبت الكاتب في حاشية مختصر الطبري بعض الأحاديث، كما سيأتي في المخالفة الثالثة، لكنه بتر أولها عمداً تبعاً لهواه في التأويل.

٤- لم يذكر الكاتب في مختصره القول الذي رجَّحه الطبري، حيث يذكر أقوالاً متعددة، ثم يقول: وأولىٰ الأقوال التي ذكرت:
وسيرى ذلك القارئ في المخالفة الرابعة إن شاء الله.
وهذا خطأ كبير من الكاتب حيث لم يفسر بالقول الراجح عند الطبري، ولم يصدق في كلامه حين قال: ونقلناه بأمانة ودِقَّة!!

٥- لقد قال الكاتب في أول المختصر:
ولقد وضعنا بعض التعليقات الضرورية في أسفل الكتاب، ليتميز عن كلام

الشيخ الطبري، ذلك زيادة في التثبُّت، وتحري الدقة والاطمئنان إلى أن عملنا في غاية المستطاع من الجودة والإتقان.

أقول: هذا الادِّعاء من الكاتب غير صحيح، فلقد وجدت تعليقات أخذها الكاتب من الطبري، ولكن بشيء من التحريف كما سيأتي في المخالفة السابعة، والعاشرة، ولو تتبع القارىء التعليقات لوجد منها كثيراً؛ فكان الواجب عليه أن يجتنب ذلك حتى لا يدخل في قول الله تعالى:

أ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾. «الصف: ٢-٣»

ب - وقول رسول الله ﷺ: «مَن غشنا فليسَ مِنا». «رواه مسلم»

جـ - (المُتَشبِّعُ بما لَمْ يُعطَ كَلابِسِ ثوبَيْ زُور). «متفق عليه»

٦- وسأذكر بحثاً مستقلاً عن الأمانة العلمية في كتب الكاتب حتى في الأحاديث النبوية كما سيأتي، ليجتنب القراء كتبه، أو ليقرأوها على حذر، وشك فيما يقول وينقل.

٧- إنَّ تفسير الطبري يتألف من ثلاثين جزءاً، وطُبع في ٣٠ مجلداً، فكيف يعقل أن يختصره الكاتب إلى مجلدين، ويدَّعي أنه نقله بأمانة ودقة ؟!

إنَّ تفسير ابن كثير يتألف من أربعة مجلدات، قد اختصره الكاتب إلى ثلاثة، فكيف يمكنه أن يختصر تفسير الطبري وهو ٣٠ مجلداً إلى مجلدين؟! ولذلك قال أحد العلماء: إن هذا المختصر مسخ لتفسير الطبري.

أقول: وسيحاسب عليه يوم القيامة.

وأمَّا في الدُّنيا فقد تحاشى الناس عن هذا المختصر، وهجروه؛ لمَّا تبيَّن لهم من تَعقبات علماء العصر، وتحذيرهم منه.

***

الصابوني يحذف الألوهية

عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾. «يونس: ٣»

قال الكاتب في المختصر:

«هذا هو ربكم فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالربوبية، لا مَن لا يسمع ولا يُبصر ولا يدرك». «انظر المختصر جـ١/ ٣٤٧»

فاستغربت هذا التفسير وقلت للطلبة: كيف يطلب الله من المشركين أن يُفردوه بالربوبية، مع أنهم مُقِرون له بذلك، بدليل قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾.

«المؤمنون: ٨٦-٨٧»

وعندما رجعنا إلى الأصل وجدنا ابن جرير الطبري يقول في تفسير الآية: «فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته، وأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالألوهية والربوبية».

١ - جاء الكاتب فحذف جملة: «فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته» ووضع مكانها جملة: «هذا هو ربكم» والفرق واضح بين التعبيرين، وبذلك خالف الأصل، ولم يفِ بوعده بالتزامه بالأصل.

٢ - حذف الكاتب في مختصره جملة: «وأفردوا له الألوهية» وهي هامة جداً، أنكرها المشركون، لأنها تقتضي منهم إفراد الإله بالعبادة والدعاء، وترك عبادة ودعاء آلهتهم وأوليائهم، كما أخبر الله عنهم ذلك قائلاً:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾. «الصافات: ٣٥-٣٦»

وحذف الكاتب لكلمة (الألوهية) تغييرٌ لمعنى الآية والتفسير، وقد خالف الأصل، وخالف ما وعد في نقله بدقة وأمانة كما قال.

وربما قال قائل: إنما سقطت كلمة (الألوهية) سهواً دون قصد، قلت: هذا

ما فكرت فيه، فَفَاتَحتُ الكاتب بذلك وقلت له: نحن قرأنا في مختصر الطبري عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾. «يونس: ٣»

فقلت: «أفردوه بالربوبية» فلماذا حذفت كلمة «الألوهية» التي هي في الأصل، لأن العرب مُقرون بالربوبية، فقال لي: ليس العرب المشركون كلهم مقرين بالربوبية، فقلت: القرآن يقول عنهم:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾. «الزخرف: ٨٧»

فالتعبير جاء بصيغة الجمع، فلم يقتنع، وطالبته أن يزيد كلمة (الألوهية) في الطبعة الثانية فلم يُعطِ جواباً.

وما أدري لعلَّ كثيراً من الناس لا يُفرقون بين الربوبية والألوهية، مع أن الفرق بينهما واضح كما رأيت، فقد سألت أحدهم عن معنى قول:

(لا إلٰه إلا الله) فقال لي: (لا خالق إلا الله) فقلت له: المشركون يعترفون بذلك، فقال: وما معناها؟ فقلت له: «لا معبود بحق إلا الله» لأن الإلٰه معناه المعبود بحق، فأعجبه التفسير.

وهذه مخالفة كبيرة من الكاتب لما جاء في أصل التفسير الذي غَيَّر معنى الآية، ولم يلتزم بأصل التفسير كما وعد، وقد سألت عنها الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله فقال: هذا تلبيس، ومخالفة للأصل.



الخطأ في تفسير الظلم

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. «يونس: ١٠٦»

قال الكاتب في المختصر: «ولا تعبد غير الله مما لا يضر ولا ينفع كالآلهة والأصنام، فإن فعلت ذلك فعبدتها من دون الله، فقد ظلمت نفسك بتعريضها لعذاب الله». «ج ١/ ٣٦٦»

فاستغربت هذا التفسير، لأن الظالمين معناها هنا المشركين، ورجعت للأصل فوجدتها كما يلي:

«ولا تدعُ يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة والأصنام يقول: لا تعبدها راجياً نفعها، أو خائفاً ضرها، فإنَّها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلتَ ذلك فدعوتها من دون الله، فإنك إذاً من الظالمين، يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه».

أقول: ولا يخفى على القارئ اختلاف المختصر عن الأصل في اللفظ والمعنى اختلافاً كبيراً، ولا سيما أنه حذف جملة (من المشركين بالله) في تفسير (الظالمين) الواردة في الأصل.

وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم والحديث الصحيح:

١- أما مخالفته للقرآن لأن سياق الآية التي قبلها جاء في قول الله تعالى:
﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. «يونس: ١٠٥»

٢- وأما مخالفته للحديث فلأثر ابن مسعود الذي ذكره ابن كثير في تفسيره، وذكره أيضاً في مختصر ابن كثير حيث قال لما نزلت هذه الآية:
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لا يظلم نفسه؟ فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. «رواه البخاري»

وفي رواية الإمام أحمد قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . «الأنعام: ٨٢»

شقَّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: إنَّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:

﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ إنما هو الشرك.

«ج٢/ ١٥٢ تفسير ابن كثير»

٣- وذكر الكاتب في (صفوة التفاسير) عند قوله تعالى:
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . (إنما لم يخالطوا إيمانهم بشرك).
وهذا خلاف ما فسره في مختصره.

٤- فما أدري كيف خالف الكاتب تفسير القرآن، والحديث، وتفسير ابن جرير الطبري الذي اختصره ووعد في المقدمة أن ينقله بدقة وأمانة؟ ولا سيما في مسألة هامة تتعلق بالتوحيد والشرك، علماً بأن دعاء غير الله شرك بنص الآية، وبنص الحديث القائل:

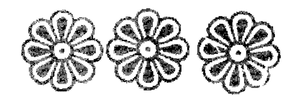
(الدعاء هو العبادة). «رواه الترمذي وقال: حسن صحيح»

وصرف العبادة، ومنها الدعاء لغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بتوبة، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ .. ﴾ . «النساء: ١١٦»

وقوله ﷺ: **(من مات وهو يدعو مِن دون الله نِدّاً دخل النار)**. «رواه البخاري»

[النِدُّ: المثيل والشريك].

وقد وقع كثير من الناس اليوم في هذا الشرك، فراحوا يستمدون العون من الأموات العاجزين، ونسوا الله القادر وحده، وغيره عاجز عن دفع الضر عن نفسه فضلاً عن غيره.



بتره لأول الحديث الصحيح

ذكر الكاتب في مختصر الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يوم تكشف القيامة عن أمر فظيع شديد، قال ابن عباس: هو يوم القيامة. يوم كرب وشدة ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾. «القلم: ٤٢»

وتدعوهم هذه الشدة إلى السجود لله، فلا يُطيقون ذلك، ثم ذكر في التعليق رقم (٢) فقال: وفي الحديث: **(يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد رياءً وسمعة، فيذهبُ ليسجدَ فيعود ظهرُه طبقاً واحداً)**. «أخرجه مسلم»

أقول: رجعت إلى الأصل في تفسير الطبري، فإذا هو كالآتي:

أ- ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾. «القلم: ٤٢»

يقول تعالى ذكره: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾: قال جماعة من الصحابة من أهل التأويل[1] (التفسير): (يبدو عن أمر شديد) ذكر من قال ذلك.

وعن ابن عباس: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾. «القلم: ٤٢»

قال: هو يوم حربٍ[2] وشدة. «ج٢٩/ ٢٦»

ب- ثم ذكر المفسر الطبري أقوالاً كثيرة ذكر بعدها الحديث الآتي وهذا نصه:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا كان يومُ القيامة نادى مُنادٍ ألا لِتلْحَق كلُ أمةٍ بما كانت تَعبدُ، فلا يبقى أحدٌ كان يَعبدُ صَنماً ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار، ويبقى مَن كان يعبد الله وحده من برٍّ وفاجر وغُبَّراتِ أهل الكتاب، ثم تُعرَض جهنم كأنَّها سراب يُحطم بعضُها بعضاً، ثم تُدعى اليهود، فيُقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: عزير ابن الله، فيقول: كذبتم ما اتَّخذَ الله من صاحبة

---

(١) التأويل: معناه عند السلف ومنهم ابن جرير: التفسير، وعند الخلف: صرف معنى الكلمة عن ظاهرها وتأويلها لمعنى آخر باطل مثل استوى: فالسلف فسروها بعلا وارتفع، كما جاء في البخاري عن التابعين، والخلف أخذوا عن المعتزلة تأويلها بمعنى «استولى» مخالفين السلف الصالح.

(٢) هذا الأثر ضعفه سليم الهلالي في كتابه: «المنهل الرقراق في تفسير يوم يكشف عن ساق».

ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أي رَبنا ظَمِئنا، فيقول: ألا تَردون؟ (أي تشربون) فيذهبون حتى يتساقطوا في النار، ثم تُدعىٰ النصارىٰ، فيُقال: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: المسيحَ ابن الله، فيقول: كذبتم ما اتخذ الله مِن صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أي ربنا ظمِئنا فاسقنا، فيقول: أفلا تَرِدُون؟ فيذهبون فيتساقطون في النار، فيبقى مَن كان يَعبُد الله مِن برٍّ وفاجر، قال: ثم يتبدَّى الله لنا في صورة غير صورته التي رأيناه فيها أول مرة، فيقول: أيهُّا الناس لحِقَتْ كلُ أمة بما كانت تعبُد، وبقيتم أنتم ـ فلا يُكلِّمه يومئذٍ إلاَّ الأنبياء ـ فيقولون: فارقنا الناس في الدُّنيا، ونحن كُنَّا إلى صُحبتهم فيها أحوَج، لحِقتْ كل أُمَّةٍ بما كانت تعبد، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول: هل بينكم وبين الله آية تعرفونه[1] بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فيَخِرون سُجَّداً أجمعون، ولا يبقىٰ أحدٌ كان يسجُد في الدُّنيا سُمْعة ولا رياءً ولا نفاقاً إلاَّ صار ظهرُه طبقاً واحداً، كُلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، قال: ثم يرجع برُّنا ومُسيئُنا، وقد عاد لنا في صورته التي رأيناه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعَمْ أنتَ ربنا ثلاث مرات).

«الجزء ٢٩/ ص٢٦/ تفسير ابن جرير الطبري المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر»

١- إنَّ الكاتب خالف في مختصره في هذه الآية عدة مخالفات:
ذكر الكاتب في تفسير هذه الآية ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾:
يوم تكشف القيامة عن أمر فظيع شديد بينما قال الشيخ الطبري في تفسيره: (يبدو عن أمر عظيم) والفرق واضح بين التعبيرين، فالكاتب يعتبر القيامة هي التي تكشف عن أمر فظيع، بينما الطبري يعتبر الساق هو الذي يبدو عن أمرٍ عظيم!

٢- حذف الكاتب الحديث الذي ذكره الشيخ الطبري في تفسيره، لأنه يثبت الساق،

(١) قال ابن حجر عند تفسير هذه الجملة: فيحتمل أن الله عرَّفهم على ألسنة الرسل من الملائكة أو الأنبياء أن الله جعل لهم علامة تجلِّيه السَّاق، وذلك أنه يمتحنهم بإرسال من يقول لهم: أنا ربكم.
«فتح الباري ج١٣/ ٤٢٨»

وهذا نص الحديث كما سبق: (. . . **فيقول: «أي الله» هل بينكم وبين الله آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فيخرون سُجَّداً أجمعون. . .)** إلى آخر الحديث الذي سبق ذكره. والساق يعود على الله تعالى، فهذا الحديث صريح في تفسير الآية بإثبات الساق لله تعالى بما يليق بكماله، من غير تشبيه بمخلوقاته، لقوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. «الشورى: ١١»

والحديث خير ما يُفسَّر به القرآن، لأن رسول الله ﷺ أعلم بمراد الله، وهو المبلغ عن الله، ولفظ **(ساق)** جاءت بصيغة النكرة للتعظيم كما قال ابن القيم.

وجاء في البخاري **(ساقه)** مضافاً لله تعالى مما يؤكِّد أنَّها ساق الله تعالى على ما يليق به.

٢- لقد حذف الكاتب الحديث بكامله من الأصل، لأنه يخالف هواه: وهو تأويل الساق بالأمر الفظيع، ثم ذكر في التعليق جزءاً من الحديث الذي رواه البخاري ومسلم بعد أن حذف أوله، تبعاً لمذهب التأويل، فقال في التعليق على التفسير:

وفي الحديث: **(يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة. . إلى آخره)**. «أخرجه مسلم»

بينما الحديث كما أورده البخاري ومسلم:

(يكشف ربُنا عن ساقِه، فيسجُد له كل مؤمن ومؤمنة. .).

فحذف الكاتب أول الحديث كما فعل في كتابه: صفوة التفاسير عند تفسير هذه الآية في سورة القلم، وبذلك ارتكب خطأً كبيراً في عدم المحافظة على نص الحديث، ولا سيما في حذف جملة يتوقف عليها فهم ما بعدها وهي:

(يكشف ربنا عن ساقه). «متفق عليه»

وارتكب مخالفة شنيعة في أصل التفسير حيث لم يذكره في الأصل، ولم يحافظ على نصه في التعليق كما ورد، لئلا ينكشف خطؤه، وهو التأويل.

* * *

مخالفته للطبري في إثبات الساق

ذكر الكاتب في المختصر تفسير قوله تعالى:
﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾. «القلم: ٤٢»

وتدعوهم هذه الشدة إلى السجود لله فلا يطيقون ذلك. بينما الأصل في تفسير الطبري عند تفسير هذه الآية: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ «القلم: ٤٢» يقول: ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى فلا يُطيقون ذلك.

١- والفرق واضح، والمخالفة لأصل التفسير ظاهرة، فالكاتب يعتبر الشدة هي التي دعتهم للسجود لله، بينما الشيخ الطبري رحمه الله يعتبر الكشف عن الساق هو الذي دعاهم للسجود لله، فأين هذا التعبير من ذاك التعبير، وأين هذا المعنى من ذاك المعنى الذي غيَّر تفسير الآية؟! وخالف التفسير الذي ذكره الطبري؟

٢- إنَّ الكاتب بعمله هذا في المختصر أوهم القراء أن ابن جرير الطبري من المؤولين (للساق) بينما هو مثبت للساق، كما جاء في تفسيره المتقدِّم كقوله:
«ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى».

٣- وقد ذكر هذا التفسير في مختصر الطبري الجديد لصاحبه (بشار، وعِصام) وظهر في سبع مجلدات وقد حافظ على أصل التفسير في هذه الآية بخلاف الصابوني الذي حرَّف وبدَّل.

٤- أما مختصر تفسير الطبري القديم لأبي يحيى الصمادي وهو متداول بين الناس الذي طبعه في دمشق مروان السوري فقد حذف تفسير هذه الآية من أصل التفسير، والتي تثبت الساق لله تعالى على ما يليق به بدون تشبيه لقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. «الشورى: ١١»

المفسرون المؤولون، والذين لا يُؤولون:

قسم فضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي في كتابه:
(التفسير والمفسرون) المفسرين إلى قسمين:

١- قِسْمٌ على طريقة السلف لا يؤولون منهم:
ابن جرير الطبري، والبغوي، وابن كثير، والقاسمي، ورشيد رضا، وصديق حسن خان، والسعدي، والشنقيطي.

٢- قِسْمٌ على طريقة الخلف أشعريون مُؤولون منهم:
القرطبي، والثعلبي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والألوسي، وإسماعيل حقي، وسيد قطب، والمراغي، وفريد وجدي، ومحمود حجازي.

والكاتب في مختصراته لتفاسير السلف يحولها إلى مذهب الخلف.

***



اختصار يُخِلُّ بالمعنى

ذكر الكاتب في مختصر ابن جرير الطبري تفسير قوله تعالى:
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. «الرعد: ٣٩»
يمحو الله من أمور عباده ما يشاء فيُغيرِّه، ويُثبِتُ ما يشاء، فلا يمحوه ولا يُغيره.
«ج١/ ٤٢٤»

رجعت إلى أصل التفسير فوجدته يقول في تفسير هذه الآية ما يلي:
قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم:

١- يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيُغيِّره إلاَّ الشقاء والسعادة، فإنَّهما لا يُغيَّران.
٢- وقال آخرون: معنى ذلك أن الله يمحو ما يشاء ويُثبت من كتاب سوى أُمِّ الكتاب الذي لا يُغَيَّر منه شيء.
٣- ذكر الطبري أقوالاً متعددة، ثم قال:

وأولى الأقوال التي ذُكرتْ في ذلك بتأويل الآية، وأشبهها بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد، وذلك أن الله تعالى توعَّد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة، وتهددهم بها، وقال لهم:
﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾. «الرعد: ٣٨»
يُعْلِمُهُم بذلك أن لقضائه فيهم أجلاً مُثبتاً في كتاب هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بما شاء، ممَّن قد دَنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه، أو اتِّضاعه من رفعة، أو هلاك مال فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويُثبت ما شاء ممَّن بقي أجله ورزقه وأُكُله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه. «الطبري ج١٦/ ٤٧٧-٤٨٨»

٤- القارئ يرى الفرق واضحاً بين المختصر الذي اختصره الكاتب وبين الأصل الذي كتبه ابن جرير الطبري.

***

إهماله لآية مهمة

أهمل الكاتب في مختصر ابن جرير الطبري قوله تعالى:
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. «هود: ١١٩»
فقد قال ابن جرير الطبري في تفسيرها:
لعِلْمِه السابق فيهم أنهم يستوجبون صَلْيَها بكفرهم بالله، وخلافهم أمره.
وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قسمٌ كقول القائل: «حَلِفي لآتينَّك».
و «وبدا لي لأزورنك»، ولذلك تُلقِّيتْ بلام اليمين. «ج١٥/ ٥٣٨»
وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس:
«وجب قول ربك». «انظر زاد المسير لابن الجوزي»
وقد خالف هذا التفسير ما سمعته من مختصر تفسير الطبري المسجل على الأشرطة حينما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي كَمُلت كلمة ربك.
والظاهر أن هذا التفسير المسجل هو من مختصر الطبري للصابوني الذي لم يذكر اسمه على الشريط لئلا ينكشف للناس، فيهجروه ولا يسمعوا له، لأن بقية التفسير في الشريط مثل مختصره.



تفسير مخالف للطبري

ذكر الكاتب عند تفسير قول الله تعالى في سورة الأعراف:
﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ . «آية: ٧٧-٧٨»
فأخذتهم الصيحة التي زعزعتهم وأهلكتهم. فأصبحوا في ديارهم جاثمين.
فأصبحوا صرعىٰ لا يتحركون: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ . «الأعراف: ٧٩»
فأدبر صالح عنهم خارجاً من بين أظهرهم، وقال لقومه:
«لقد بلَّغتكم ما أمرني به ربي ونصحتكم». انتهي. «ج١/ ٢٧٢»
رجعت إلى أصل تفسير ابن جرير الطبري فإذا به يقول عند تفسير هذه الآية:
«يقول تعالى ذكره:
فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجاً عن أرضهم من بين أظهرهم، لأن الله تعالى ذكره أوحىٰ إليه أنِّي مُهلِكهم بعد ثالثة[1].
وقيل: إنه لم تهلك أُمَّة ونبيها بين أظهرها، فأخبرَ الله جلَّ ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عَتَوْا عن أمر ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فقال: فتولى عنهم صالح، وقال لقومه ثمود لقد أبلغتكم رسالة ربي وأدَّيتُ إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربي من أمره ونهيه، ونصحت لكم في أدائي رسالة الله إليكم. .» إلخ. «١٢/ ٥٤٦»
لقد خالف الكاتب في مختصره الأصل في أمور:

١- إن الكاتب حذفَ جملة: «حين استعجلوه العذاب» وهي مهمة جدًا، لأنها تُبيِّن خروج صالح عليه السلام قبل نزول العذاب الذي استعجلوه، وذلك حين قالوا: ﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ . «الأعراف: ٧٧-٧٨»

(١) [أي ثلاثة أيام كما جاء في الآية ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ . «هود: ٦٥»

٢- حذف الكاتب جملة: «لأن الله تعالى أوحىٰ إليه أني مهلكهم بعد ثلاثة أيام وهي مهمة جدًا، لأنها تَبيِّن بوضوح أن العذاب لم ينزل بهم حين خاطبهم صالح عليه السلام، وذلك حين قال لهم:

﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾. «هود: ٦٥»

٣- إنَّ الكاتب بحذفه جملة «حين استعجلوه العذاب» وجملة: «لأن الله تعالى ذكره أوحى إليه أني مُهلِكُهم بعد ثالثة» من أصل تفسير ابن جرير الطبري أوهم القرّاء أن صالحاً عليه السلام خاطبهم بعد مماتهم عند قوله تعالى:

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾.

والطبري فسرَّ قول صالح لقومه قبل هلاكهم، بخلاف ما فسرَّ الكاتب، فأين الأمانة والدقة؟.

٤- إن تفسير شيخ المفسرين لهذه الآية على أن صالحاً قال لهم هذه الكلمة قبل هلاكهم يؤيده ما ذكره الشيخ الطبري حينما فسَّر قول شعيب عليه السلام لقومه بقول يُشبه قول صالح لقومه، وهو قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾. «الأعراف: ٩٣»

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره:

فأدبر شعيب عنهم شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله، وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذَّبوه حزناً عليهم:

﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ وأدَّيتُ إليكم ما بعثني به إليكم..

«ج١٢/ ٥٧١ تحقيق أحمد شاكر»

والشاهد أن الطبري يعتبر قول شعيب لقومه لمَّا تيقن بنزول النقمة بهم، وهذا يكون قبلها لا بعدها، علماً بأن مفسرين آخرين يرون خلاف ذلك، لكن لا يجوز للصابوني تبديل تفسير الطبري للأمانة العلمية.

* * *

تحريف الكاتب لكلام الطبري

ذكر الكاتب عند قول الله تعالى:
﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾. «الأعراف: ١٦٠»
وفرَّقنا بني إسرائيل فجعلناهم قبائل شتى اثنتي عشرة قبيلة، ثم ذكر الكاتب في التعليقات رقم ٢ ما نصه:
«إنما فرقهم قبائل لاختلافهم في دينهم». «ج١/ ٢٨٧»
عجبت من قول الكاتب من أين أتى به؟!
رجعت إلى أصل تفسير ابن جرير الطبري فوجدته يقول:
«وقيل: إنَّما فُرِّقوا أسباطاً لاختلافهم في دينهم». «١٣/ ١٧٦ أحمد شاكر»
لقد ارتكب الكاتب في هذا التعليق مخالفتين:

١- أوهم الكاتب القرَّاء أن هذا التعليق من تحقيقه، لأنه أعلن في المختصر ج١/ ٥ ما يلي: «ولقد وضعنا بعض التعليقات الضرورية في أسفل الكتاب ليتميز عن كلام الشيخ الطبري وذلك زيادة في التثبُت وتحري الدقة والاطمئنان إلى أن عملنا في غاية المستطاع من الجودة والإتقان».
بينما هذا التعليق الذي ذكره الكاتب موجود في أصل التفسير «ج ١٣/ ١٧٦» مع شيء من التحريف والتبديل.

٢- إنَّ الطبري رحمه الله ذكرَ في تفسيره القول المعتمد عنده، ثم قال في الأخير: «وقيل إنَّما فُرقوا أسباطاً لاختلافهم في دينهم» ولفظ (وقيل) مبني للمجهول يوحي بالضعف، فجاء الكاتب وحرَّف الأصل، وحذف كلمة (وقيل) وكتب: «إنما فرقهم قبائل لاختلافهم في دينهم» مؤكداً هذا القول بـ (إنَّما) ليثبته ويؤكده مع أنه ضعيف.

***

خطؤه في تفسير البأساء والضراء

ذكر الكاتب في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾. «الأعراف: ٩٤»

وما أرسلنا في قرية نبيًّا قبلك يا محمد، إلاَّ أخذنا أهلها بضيق العيش وسوء الحال ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ ليتضرعوا إلى ربهم، ويُنيبوا إليه من ذنوبهم.

ثم علَّق في الحاشية على كلمة: (وسوء الحال) مايلي:

(١) **البأساء**: ما يصيبهم في أبدانهم من الأمراض والأسقام. والضراء: الفقر والجوع. «انظر المختصر ج١/ ٢٧٥»

رجعت إلى أصل التفسير فوجدت تفسيرها يخالف تفسيره:

١- فسَّر الطبري قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ يقول:

فعلنا ذلك ليتضرعوا إلى ربهم، ويستكينوا إليه، ويُنيبوا بالإقلاع عن كفرهم، والتوبة من تكذيب أنبيائهم. «انظر: الطبري تحقيق أحمد شاكر ج١٢/ ٥٧٢»

والقارئ يرى الفرق الواضح بين الأصل والمختصر، ولم يتقيد بما أعلنه في أول المختصر حين قال:

«لم نأتِ بشيء جديد من عندنا، وننسبه إلى الطبري، وإنَّما لخصناه من تفسيره، ونقلناه بأمانة ودقة من خلال تفسيره الجامع الواسع غير ما دعت الحاجة إليه من زيادة كلمة أو حرف للربط بين الجمل...».

٢- إنَّ التعليق الذي ذكره الكاتب في تفسير البأساء والضراء خطأ واضح يخالف ما ذكره الطبري في تفسيره ذلك حين قال:

(بالبأساء): وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة.

(والضراء): وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام. «ج١١/ ٣٥٤»

فالكاتب فسَّرهما بمعنى مضاد للغة العربية، وتفسير الإمام الطبري الذي استدلَّ على معنى الضُر بقوله تعالى:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ . «الأنبياء: ٨٣» (ج٣/ ٣٥٠)

والمعروف أن أيوب عليه السلام أُصيب بمرض في جسمه، فكيف فسر (الضراء) بالفقر والجوع؟!

٣- إن هذا الخطأ الكبير في تعليقه يناقض ما أعلنه في أول مختصره من الأمانة والدقة.

***



الكفار ليسوا مُخَيَّرين بالإسلام أو الكفر

ذكر الكاتب في الحاشية تعليقا على تفسير قول الله تعالى:
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ .
«التوبة: ٦»

فقال الكاتب في تعليقه: هذا غاية في كرم الأخلاق، وحسن المعاملة، لأن الغرض من الدعوة الهداية والإرشاد، لا النيل من الكفار بالقتل والأسر، بل إقناعهم وهدايتهم؛ ثم ترك الخيار لهم أن يسلموا أو يكفروا:
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ . «الكهف: ٢٩»
فلله ما أسمى تعاليم الإسلام! «انظر: المختصر ج١/ ٣١٦»

أقول: لقد خالف الكاتب في تفسير الآية التي فهم منها الخيار للكافر أن يسلم أو يكفر جميع المفسرين حتى تفسير الإمام الطبري الذي ذكر التعليق فيه:

١- لقد نقل الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى:
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنهما، وجاء فيه:
«وليس هنا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، إنما هو تهديد ووعيد». «ج١٥/ ٢٣٨»

٢- وقال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى:
﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد، ولذلك قال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾ . «ج٢/ ٤١٧»

٣- ولو كان فهم الكاتب للآية الخيار للكفار أن يسلموا أو يكفروا ـ كما زعم ـ صحيحاً لذكره المفسرون؛ وفهمه الخاطئ يرده قوله ﷺ:
(أُمِرتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

ويُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله). «متفق عليه»

والكاتب يرمي غيره بسوء الفهم، ويستشهد بقول الشاعر:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفتُه مِن الفهم السقيم

فهل فهمه لمعنى الآية صحيح، أم سقيم؟ وذلك عندما قال:
ثم ترك لهم الخيار أن يسلموا أو يكفروا؟

***



خطؤه في سبب النزول

ذكر الكاتب في مختصر الطبري عند قوله تعالى:
﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾. «التوبة: ١٩»
فقال في التعليق رقم(٣) ـ مايلي:
رُوي أن العباس لما أُسِرَ مع أصحابه يوم بدر أقبلَ المسلمون يُعيِّرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونفُك العاني (الأسير) ونسقي الحاج، فأنزل الله: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾. «ج١/٣١٩/ المختصر»

أقول: إنَّ هذا التعليق فيه مخالفات:

١- أوهم القارئ أن هذا التعليق من عنده كما قال في المقدمة:
«ولقد وضعنا بعض التعليقات في أسفل الكتاب ليتميز عن كلام الشيخ الطبري، وذلك زيادة في التثبُّت وتحري الدقة... ص٥».

٢- رجعت إلى الأصل فوجدت الطبري ذكر هذا التعليق مع ذكر السند، حيث قال:
حُدِّثتُ عن الحسين بن الفرَج، قال: سمعت أبا معاذ قال: حدَّثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحَّاك يقول في قوله: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ الآية، أقبلَ المسلمون على العباس وأصحابه الذين أُسِروا يوم بدر يُعيِّرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونفك العاني.. «الطبري تحقيق أحمد شاكر ج١٤/ ١٧٢»

٣- لقد حذفَ الكاتب السند، وذكر بقية الكلام، ولم ينظر إلى صحة السند، فالحسين بن الفرج كذبه ابن معين، وأبو معاذ، واسمه سليمان بن أرقم ضعيف كما في ميزان الاعتدال للذهبي. وفي السند انقطاع، لأن الضحاك لم يدرك زمن القصة.

فالسبب لنزول الآية مرفوض سنداً لأن فيه كذاباً وضعيفاً، وانقطاعاً، ومرفوض متناً، لأن المسلمين لم يسبق لهم أن عيَّروا أحداً بالشرك بعد إسلامه، ولا سيما لمن دخله جديداً، فربما كان سبباً في ردته.

أما الطبري فقد ذكره، بسنده والقارىء عليه أن يتحقق من السند، ولذلك جاء العالم الفاضل محمود محمد شاكر فخرج أحاديث الطبري والآثار، فوجد منها الصحيح والضعيف، وغير ذلك.

٤- لم يذكر الكاتب سبب نزول الآية الصحيح، وهو الذي ذكره الطبري عند تفسير الآية، الذي رواه مسلم عن النعمان بن بشير الأنصاري قال:

كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلاَّ أن أسقي الحاج! وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام! وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليتُ الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. قال: ففعل، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

«الطبري تحقيق محمود وأحمد شاكر ج١٤/ ١٦٩» «ذكر المخرج في الحاشية أن الحديث رواه مسلم»



التوفيق بين سبب النزول والتفسير

لقد ذكرَ أكثر المفسرين ومنهم الطبري أن قوله تعالى:

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ . . . ﴾ خطاب للمشركين، وأن سبب النزول الذي رواه مسلم يفيد أنَّها نزلت عند اختلاف المسلمين في الأفضلية، فكيف العمل؟

أقول: كان على الكاتب أن يراجع التفاسير، ويذكر حلاً يوفق بين سبب النزول والتفسير، بدلاً من أن يذكر سبب نزول مرفوض لوجود راوٍ كذَّاب في سنده، ويترك سبب نزول الآية في صحيح مسلم.

١ - رجعت إلى تفسير القرطبي فإذا به يقول:

وهذا المساق يقتضي أنها إنَّما نزلت عند اختلاف المسلمين في الأفضل من هذه الأعمال: (حسب رواية مسلم) وحينئذ لا يليق أن يقال لهم في آخر الآية: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، فتعيَّن الإشكال وإزالته بأن يُقال: إن بعض الرواة تسامح في قوله: فأنزل الله الآية، وإنما قرأ النبي ﷺ الآية على عمر حين سأله، فظن الراوي أنها نزلت حينئذ، واستدل بها النبي ﷺ على أن الجهاد أفضل مما قال أولئك الذين سمعهم عمر، فاستفتىٰ لهم، فتلا عليه ما قد كان أنزل لا أنها نزلت في هؤلاء القوم والله أعلم.

٢ - ثم ذكر القرطبي إشكالاً آخر ورد في الآية التي بعدها، وهي قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾. «التوبة: ٢٠»

فقال القرطبي: (درجة) نصب على البيان، أي من الذين افتخروا بالسقي والعمارة، وليس للكافر درجة عند الله حتى يُقال: المؤمن أعظم درجة، والمراد أنهم قدَّروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي، فخاطبهم على ما قدّروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي، فخاطبهم على ما قدّروه في أنفسهم،

وإن كان التقدير خطأ، كقوله تعالى:

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ . «الفرقان: ٢٤»

وقيل: أعظم درجة من كل ذي درجة، أي: لهم المزية والمرتبة العلية.

«انظر: القرطبي ج٨/ ٩٣»

٣- ذكرَ القاسمي في تفسيره توفيقاً بين رواية مسلم من أنها نزلت في المسلمين، وبين ظاهر الآية الذي تفيد نزولها في المشركين، فقال:

لا منافاة، وظاهر النظم الكريم فيما قاله ابن عباس لا يُرتاب فيه، وقول النعمان: (فأنزل الله) بمعنى أن مثل هذا التحاور نزل فيه فَيْصَلٌ مُتَقَدِّم، وهو هذه الآية لا بمعنى أنه كان سبباً لنزولها كما بينت غير ما مرة، وهذا الاستعمال شائع بين السلف، ومن لم يتفطن له تتناقض عنده الروايات، ويحار في المخرج، فافهم ذلك وتفطَّن له.

وتأييد أبي السعود نزولها في المسلمين بما أطال فيه ذهول عن سياق الآية ولاحقها. «تفسير القاسمي ج ٨/ ١٤٩»

* * *

الصابوني يبتر جملة كبيرة

ذكر الكاتب عند تفسير قول الله تعالى:
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾. «فاطر: ٢٢»

وأنت يامحمد لا تقدر أن تنفع بمواعظ الله، وبيان حُجَجِه مَن كان ميت القلب من أحياء عباده. «ج٢/ ٢٣٣ من المختصر»

رجعت إلى تفسير الطبري الذي اختصره، فوجدت مايلي:

«يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يُسمع مَن في القبور كتاب الله، فيهديهم إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله، وبيان حُجَجه مَن كان ميت القلب مِن أحياء عباده من معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حُججه». «انظر تفسير الطبري ج٢٢/ ١٢٩»

إن اختصار الكاتب فيه مخالفات:

١- حذفه لجزء مهم من تفسير الطبري، وهو قوله:
«كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله، فيهديهم إلى سبيل الرشاد».
هذا المقطع يفيد عدم سماع الأموات حتى الرسول ﷺ لا يقدر عليه، فكيف بغيره؟

٢- عدول الكاتب عن صيغة الغائب التي أتىٰ بها الطبري، وقوله:
«كما لا يقدر أن يُسمع...» إلى صيغة المخاطب مخالفة واضحة لصيغة الطبري التي يتجلّى فيها الأدب واللطف مع الرسول ﷺ.

٣- هذا الحذف والتلاعب بتفسير الطبري مسئول عنه في الدُّنيا والآخرة.
أما مسئوليته في الدُّنيا، فإنَّ القارىء عرفَ أن الكاتب لم يصدق في كلامه حين قال في المقدمة: «وهذا المختصر لتفسير الإمام الطبري الذي نضعه بين يديك ـ أيُّها القارئ الكريم ـ هو تفسير الشيخ الطبري نفسه، بل يكاد يكون كلامه بالحرف الواحد. . لم نأتِ بشيء جديد من عندنا وننسبه للشيخ

الطبري، وإنَّما لخصناه من تفسيره، ونقلناه بأمانة ودقة».

أقول: أين الأمانة والدقة عند بتره لجملة كبيرة من تفسير الطبري للآية، ولو كان الطبري حيًّا لأنكرَ عليه، أما مسئوليته في الآخرة، فسيحاسبه الله تعالى على مخالفاته، وعدم أمانته العلمية، ولاسيما بعد أن نبهته على أخطائه أول الكتاب.

* * *



مخالفة كبيرة لتفسير الطبري

ذكر الكاتب عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ . . ﴾ الآية.
«الروم: ٥٢»

فقال: «فإنَّك يامحمد لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين، الذين قد ختم الله على أسماعهم». «ج٢/ ١٨٥ من المختصر»

رجعت إلى تفسير الطبري فإذا به يقول:

«هذا مثل معناه: فإنَّك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم، فسلبهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تُفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعاً».

وقد فسَّر القرطبي هذه الآية بنحو ما سبق عن الطبري، وكأنَّه اختصره منه.
«١٣/ ٢٣٢/ القرطبي»

ثم روى الطبري بإسناده الصحيح عن قتادة قال:

«هذا مثَل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر . . .». «الطبري ج٢١/ ٣٦»

أقول: إنَّ اختصار الكاتب فيه مخالفات:

١ - لقد حذفَ الكاتب الشطر الأخير من تفسير الطبري للآية، وهو قوله:

«كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعاً».

هذا الشطر الذي حذفه الكاتب مُهِمٌّ جداً، لأنه يتعلَّق بعدم سماع الأموات لأن الله سلبهم أسماعهم كما هو واضح من تفسير الطبري، وهذه مخالفة كبيرة من الكاتب لما جاء في أصل التفسير الذي ادَّعىٰ في أول المختصر أنه نقله بأمانة ودقة، بل يكاد يكون كلامه بالحرف الواحد. فأين الأمانة والدقة عند حذفه لجملة كبيرة من تفسير الطبري يتوقف عليها معنى الآية؟

التفسير الصحيح لمعنىٰ الجهة والمكان

ذكر الكاتب عند تفسير قوله تعالى:
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾. «الملك: ١٦»
ءَأمنتم الله أيها الكافرون أن يخسف بكم الأرض.
علق الكاتب على تفسير الطبري عند كلمة (الله) مايلي:
(١) قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يُراد به الله عز وجل، كما أشار الطبري، فهو تعالى على عرشه في السماء، له العظمة والكبرياء، والآية وردت على سبيل الوعد والتهديد، لا لبيان الجهة والمكان. «مختصر الطبري ج٢/ ٤٧٢»

أقول: إنَّ تعليق الكاتب يحتاج إلىٰ توضيح:

١- يقول شارح العقيدة الطحاوية: وأما لفظ الجهة، فقد يُراد به ماهو معدوم؛ ومن المعلوم أنه لا موجود إلاَّ الخالق والمخلوق؛ فإذا أُريد بالجهة أمر «موجود» غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك.
وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم فليس هناك إلا الله وحده.
فإذا قيل: إنّه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه:
أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق جميع العالم عالٍ عليه.
«انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٢»

يقول محقق العقيدة التدمرية: وخلاصة مناقشة النافي أن يقال له:
إن كان مرادك بالجهة أمراً وجوديًا كالعرش أو السماوات، فنفيك صحيح، فمن المعلوم شرعاً وعقلاً أن الله ليس حالاً في شيء من مخلوقاته.
وإن كان مرادك بالجهة أمراً عدميًا، وهو ما وراء العالم فنفيك باطل.
فإنّك إذا قلت: الباري ليس في جهة كان حقيقة قولك أن الباري لا يكون موجوداً قائماً بنفسه، وهذا باطل، حيث لا موجود فوق العرش إلاَّ هو

سبحانه، فإنَّ من المعلوم بالضرورة أن الله فوق سماواته على عرشه.

٢- وقال الشيخ خليل هَرَّاس ردًّا على الكوثري في نفيه المكان:

إنَّ قصارى ما يقوله المُتَحذلق منهم في هذا الباب:

إن الله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان.

فماذا يعني هذا المُخَرِّف بالمكان الذي كان ولم يكن؟ هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم، فهذه أمكنة حادثة، ونحن لا نقول بوجود الله في شيء منها.

وإن أُريد بالمكان العدَمي الذي هو خلاء محض لا وجود فيه، فهذا لا يُقال: إنَّه لم يكن ثم خُلق، إذْ لا يتعلق به الخلق، فإنَّه أمر عدمي، فإذا قيل: إن الله في مكان بهذا المعنى كما دلت عليه الآيات والأحاديث، فأي محذور بهذا؟ بل الحق أن يُقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثم استوى على العرش؛ وثم هنا للترتيب الزماني لا لمجرد العطف.

«انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس راجعه الشيخ عبدالرزاق عفيفي ص ٢١٢»

٣- **الخلاصة:** المكان الوجودي: هو مخلوق يكون مكاناً لمخلوق أصغر منه، كالبلد مكان لما هو أصغر منها، والأرض مكان لما هو أصغر منها، فإذا انتهينا إلى العرش، فهو أكبر المخلوقات، فما وراءه ليس مكاناً وجوديًّا بالمعنى السابق، بل هو مكان عدمي، يعني ليس فوق العرش مكاناً مخلوقاً وجوديًّا، والله داخل فيه، بل سبحانه فوق العرش، وهو مكان عدمي، خلاء محض، معدوم من المخلوقات. والله أعلم.

***

الخلاصة عن مختصر الطبري

هذه بعض المخالفات المهمَّة التي اطلعت عليها أثناء التدريس والمطالعة في بعض سور من القرآن، إذْ لم أستطع قراءة التفسير كله ومقارنته مع الأصل، فهذا يحتاج إلى وقت طويل، ومن الواجب على الكاتب أن يُعيد النظر من جديد في هذا التفسير المختصر الذي عزاه إلى الطبري حتى يتفق مع ما أعلنه في أول الكتاب حين قال عن مختصر التفسير:

«بل يكاد يكون كلامه بالحرف الواحد... لم نأتِ بشيء جديد من عندنا، وننسبه للشيخ الطبري، وإنَّما لخصناه من تفسيره، ونقلناه بأمانة ودقة»!!

فأين الدقة والأمانة بعد هذه المخالفات الكبيرة لأصل التفسير؟!

إن اختصار الكاتب لتفسير الطبري مخالف للأصل تماماً، ولو كان الطبري رحمه الله حياً لما رضيه، علماً بأنه خالف منهج الطبري في أمور كثيرة منها:

١- حذفه للأحاديث التي هي عمدة التفسير، ولم ينبه على حذفها في المقدمة.

٢- حذفه لأقوال الصحابة والتابعين، وتأتي بعد الأحاديث في الأهمية.

٣- لم يأخذ بالقول الراجح الذي استصوبه الطبري.

٤- بتره لجُمل من تفسير الطبري تغير المعنى كما سبق بيانه.

٥- وضع بعض تعليقات تخالف تفسير الطبري كما سبق في أول الكتاب.

٦- وضع بعض التعليقات ونسبها لنفسه، وهي في تفسير الطبري كما سبق بيانه.

٧- عدم وفائه بما تعهَّد به في مقدمة المختصر من الأمانة والدقة.

٨- كيف يجوز للصابوني أن يكتب (مختصر الطبري) بعد هذه المخالفات؟

٩- كيف يثق القرَّاء بكتب الكاتب عامة، ومختصر تفسير الطبري خاصة؟

١٠- كيف يُصدِّق عاقل أنه يمكن اختصار الأصل وهو ثلاثون مجلداً إلى مجلدين؟

***

رأي العلماء في مختصر تفسير الطبري

كتب فضيلة الشيخ عبدالله عبدالغني الخياط عضو هيئة كبار العلماء وخطيب المسجد الحرام سابقاً بعد اطلاعه على مخالفات الكاتب في مختصر ابن جرير الطبري قال ما نصه: **إيضاح حقيقة**:

الحمد لله يُحِقُّ الحق ويُبطل الباطل، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع سبيله إلىٰ يوم الدِّين.

أما بعد، فقد قرأت ما كتبه الأخ الشيخ محمد بن جميل زينو المدرس للتفسير في مدرسة دار الحديث الخيرية بمكة من ملاحظات على تفسير «مختصر الطبري» لمؤلفه الشيخ الصابوني فوجدت أنها لم تَعدُ الحقيقة، لأن الكاتب قد أخَلَّ بما التزمه:

أولاً: من حيث أمانة النقل،

وثانياً: من حيث تفسير بعض الآيات بما يختلف عن مذهب السلف مما نقده عليه الشيخ محمد بن جميل زينو وضمنه ملاحظاته. والحق أحق أن يُتبع، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

عبدالله عبدالغني خياط

عضو هيئة كبار العلماء

تحذير الدكتور بشار عواد:

قال في كتابه: وقد شجعني على المعنى في هذا العمل (اختصار الطبري) ما رأيته من صنع بعض من اختصر الكتاب اختصاراً مُجحِفاً أخرجه عن مقصده وللشيخ العلامة الدكتور «بكر أبو زيد» كتاب نفيس في الرد على اختصار الشيخ الصابوني لتفسير الطبري عنوانه:

«**التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير**».

فليراجع ففيه فوائد جمة. «انظر: تفسير الطبري تحقيق وتهذيب الدكتور بشار ١/ ٩١»

(ثانياً)

وجوه التحذير من مختصره لتفسير ابن كثير

أحاديث ضعيفة في مختصر ابن كثير

ذكر الكاتب في مقدمة كتابه: (مختصر ابن كثير) مانصه:

«**ثالثاً**» الاقتصار على الأحاديث الصحيحة، وحذف الضعيف منها، وحذف ما لم يثبت سنده من الروايات المأثورة، مما نبَّه عليه الشيخ ابن كثير رحمه الله».

«انظر المختصر ج١/ ١٣»

أقول: إنَّ هذا الشرط الذي ذكره الكاتب في مقدمة تفسيره، وألزم نفسه به هل التزم به وحققه؟

الجواب: لم يحقق الكاتب ـ مع الأسف ـ هذا الشرط: وهو الاقتصار على الأحاديث الصحيحة، وحذف الضعيف منها، والأدلة على ذلك كثيرة:

١ - ذكر في مقدمة كتابه: قول رسول الله ﷺ:

(مَن قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فلْيتبوَّأْ مقعدَه مِنَ النار).

وقد حذف السند الذي ذكره ابن كثير، وقد ضعَّف الحديثَ العلماءُ:

أ - قال محقق تفسير الطبري: إسناده ضعيف لضعف عبدالأعلى الثعلبي.

«تخريج أحمد محمود شاكر»

ب- قال محقق جامع الأصول: إسناده ضعيف لضعف عبدالأعلى الثعلبي.

«جـ/ ٦»

٢ - **(من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ)**. «انظر المختصر ١/ ١٣»

أ - ضعَّفه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط في جامع الأصول وقال: في سنده سهيل ابن أبي حزم لا يحتج به. ضعَّفه البخاري، وأحمد، وأبو حاتم. «٢/ ٣»

ب- ضعَّفه المحدِّث الألباني في (مشكاة المصابيح) هو والحديث الذي قبله رقم: (٢٣٥-٢٣٤).

جـ- وقال ابن كثير حينما أورده بسنده: وقال الترمذي: غريب، وقد تكلَّم بعض أهل العلم في سهيل.

أقول: لم ينتبه الكاتب إلى كلام ابن كثير الذي أشار إلى ضعف الحديث، فأثبته معتقداً صحته. وقد علَّق ابن الأثير على حديث:

«**من قال في كتاب الله برأيه**» فقال: «النهي عن تفسير القرآن بالرأي» **لا يخلو** إما أن يكون المراد به: الاقتصار على النقل والمسموع، وترك الاستنباط، أو المراد به: أمر آخر.

وباطل أن يكون المراد به: أن لا يتكلم أحد في القرآن إلاَّ بما سمعه، فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، وأنَّ النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال: (**اللهم فقِّههُ في الدِّين، وعلِّمه التأويل**). «رواه البخاري»

فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، فما فائدة تخصيصه بذلك؟ «٤/٢»

٣- ذكر الكاتب عند قول الله تعالى:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾. «محمد: ٣٨»

قوله ﷺ: (**هذا وقومُه، ولو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس**).

وقال الكاتب في حاشية المختصر: «أخرجه مسلم...»

أقول: لقد قال ابن كثير عندما أورد الحديث: تفرَّد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد، وقد تكلَّم فيه بعض الأئمة رحمهم الله. «ج٤/ ١٨٢»

فكيف يجوز للصابوني أن يقول: أخرجه مسلم، وقد اشار إلى ضعفه ابن كثير، وربما ظن الكاتب أن مسلم بن خالد الزنجي هو الإمام مسلم بن الحجاج حتى أسنده له في الحاشية!!

أما الذي أخرجه مسلم فغير هذا السياق، وإنَّما ذكره عند قول الله تعالى:

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾. «الجمعة: ٣»

وبلفظ آخر وهو قوله ﷺ:

(لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال، أو رجل من هؤلاء) «رواه مسلم وغيره»

٤- قال رسول الله ﷺ: **(مَن تكلَّم يومَ الجُمُعة والإمام يخطب، فهو كَمثل الحمار يحمِلُ أسفاراً، والذي يقول له أنصت ليست له جُمُعة)**.

«أخرجه الإمام أحمد، مختصر ابن كثير ٤/ ٤٩٨»

أقول: هذا الحديث الذي أثبته الكاتب معتقداً صحته هو ضعيف، وقد ذكره ابن كثير بالسند، وفي سنده مجالد بن سعيد: قال الحافظ في «التقريب»: ليس بالقوي، وقد تغيَّر في آخر عمره، ولذلك أشار المنذري في «الترغيب» إلى تضعيف الحديث. «١/ ٢٥٧»

٥- عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال:

«**اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب**» في هذه الآية:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

«آل عمران: ٢٦»، «انظر مختصر ابن كثير ١/ ٢٧٥»

أقول: هذا الحديث الذي اعتقدَ الكاتب صحته هو ضعيف:

أ- رمز السيوطي له بالضعف رغم تساهله.

ب- ذكر الحديث ابن كثير بسنده، وبرئت ذمته.

جـ- قال الهيثمي: فيه جسر بن فرقد، وهو ضعيف. «مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩»

قال المناوي: فيه أيضاً محمد بن زكريا الفلابي، أورده الذهبي في الضعفاء..

«فيض القدير ١/ ٥١٢»

***

قصة ثعلبة غير صحيحة

ذكر الكاتب في مختصر ابن كثير قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ: «ادعُ الله أن يرزقني مالاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدِّي شكره خير من كثير لا تطيقه.. إلى آخر القصة التي نزل فيه قول الله تعالى:

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾.

«التوبة: ٧٥ـ٧٧» «انظر المختصر ٢/ ١٥٧»

أقول: هذه القصة التي ذكرها الكاتب معتقداً صحتها هي غير صحيحة، والدليل ما يلي:

١- ذكر محقق تفسير الطبري محمود محمد شاكر ما يلي:

في سندها (معان بن رفاعة السلمي)، ليِّن الحديث، يُكتبُ حديثه، ولا يُحتج به، و (علي بن يزيد الألهاني) ضعيف بمرة [أي جداً].

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٥:

«رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك»

وهو ضعيف كل الضعف، ليس له شاهد من غيره، وفي بعض رواته ضعف شديد. «١٤/ ٣٧٣»

٢- هذا الحديث عن هذه القصة من الأحاديث التي ساقها ابن كثير في تفسيره ساكتاً عنها، وذكره بسنده وفيه (معان بن رفاعة)، مشيراً بذلك إلى علته الواضحة لدى أهل العلم بهذا الفن، فاغتر بسكوته مختصِر تفسيره هذا الكاتب، فأثبته في تفسيره، فكان عليه أن يراجع السند، ويراجع ما قاله محمود محمد شاكر في تحقيقه الذي ذكرته أولاً.

٣- وقال القرطبي بعد أن ذكر القصة في تفسيره: قلت: وثعلبة بدري أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح.

٤- وقال الحافظ ابن حجر: لكنه حديث لا يحتج به، وهو ضعيف جدًا.
وقال الذهبي في ترجمة ثعلبة: ذكروا حديثاً منكراً.

٥- وقال الضَّحَّاك: نزلت في رجال من المنافقين هم: نبتل بن الحارث، وجَدُّ ابن قَيْس، ومُعتبُ بن قُشَير: وهذا أشبه في نزول الآية فيهم. انتهىٰ

أقول: فالصواب أنَّها لم تنزل في ثعلبة ولا في غيره من المسلمين، بل نزلت في أناس من المنافقين، ونص الآية يدل على ذلك، وهو قوله تعالى:
﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ أي من المنافقين عندما عاهدوا الله كان كل واحد منهم منافقاً، ولم يكن مؤمناً ثم نافق بنقض عهده.
وقوله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ وهذا يعني أنهم جماعة، ولو كان واحداً لقال: (فأعقبه) وبذلك يترجح أنها نزلت في المنافقين، كما قال الضحاك، ولم تنزل في ثعلبة ولا غيره من المسلمين.

❊ ❊ ❊



قصة العتبي غير صحيحة

ذكر الكاتب في مختصره قصة العتبي، وخلاصتها:

قال العتبي: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ «النساء: ٦٤»

وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلىٰ ربي، ثم أنشأ يقول:

ياخير مَن دُفِنتْ بالقاع أعظمُه   فطاب مِن طيبهنَّ القاعُ والأكم
نفسي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه   فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: «يا عُتبي إلحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له». «ج١/ ٤١٠»

أقول: هذه القصة التي اعتقد الكاتب صحتها غير صحيحة:

١- لقد حذفها أحمد محمد شاكر عندما اختصر ابن كثير في كتابه الذي سمَّاه: (عمدة التفاسير).

٢- أنَّ هذه الآية نزلت في حقّ المنافقين، بدليل الآية التي قبلها. وهي قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾. «النساء: ٦٣»

٣- ودليل آخر وهو قول العلاَّمة القاسمي في تفسيره: تنبيهات:

الأول: دلَّت الآية على أن توبة المنافق مقبولة عند الله وفاقاً. وأما في الظاهر فظاهر الآية قبولها، لأنه جعل النبي ﷺ مستغفراً لهم وشافعاً لهم.

الثاني: قال الرازي: لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح، لكانت توبتهم مقبولة؟ فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟

قلنا: الجواب عنه من وجوه:

الأول : أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضاً إساءة إلى الرسول ﷺ، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول الاستغفار.

الثاني : أن القوم لما لم يَرضَوْا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل ذلك التمرد، وما ذاك إلاَّ بأن يذهبوا إلى الرسول ﷺ، ويطلبوا منه الاستغفار.

الثالث : لعلَّهم إذا أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه الخلل، فإذا انضم إليها استغفار الرسول ﷺ صارت مستحقة للقبول.

الرابع : (للقاسمي) وهو التنويه بشأن الرسول ﷺ، وأن طاعته من طاعته تعالى، فرضاه رضاه، وسخطه سخطه. «انظر محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٢٧٢»

٤- قال العلاَّمة صديق حسن خان في تفسيره:

وهذا المجيء يختص بزمان حياته ﷺ، وليس المجيء إليه يعني إلى مرقده المنور بعد وفاته ﷺ مما تدل عليه هذه الآية كما قرره في: «الصارم المنكي».

ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف هذه الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا ممن تبعهم بالإحسان. «انظر: فتح البيان ٢/ ٣١٥»

أقول: كان على الكاتب أن يحذف هذه القصة كما حذفها العلاَّمة أحمد محمد شاكر في مختصره، ولا يجوز لمسلم أن يأتي إلى قبر الرسول ﷺ ويتلو هذه الآية، لأنها نزلت في حق المنافقين، والاستغفار يكون في حياته ﷺ لا بعد مماته كما تقدم.

ثم إنَّ قول العتبي:

«**نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه**.. **إلى آخره**» لم يعهد عن الصحابة الفداء للقبر، بل كان الصحابة يفدون الرسول ﷺ بأرواحهم، وبآبائهم وأمهاتهم.

***

الخلاصة

إن الذي تقدَّم من الأحاديث الضعيفة في مختصر ابن كثير، أسوقها نماذج لما في هذا المختصر من الخلل والجهالات لأحوال المرويات، وهناك أحاديث ضعيفة أُخرى، لا أُحبُّ أنْ أُطِيْلَ بِذِكْرِهَا وحسب القارئ أن يشك في ذكر الكاتب للأحاديث الصحيحة.

١- إن هذا العمل يحتاج إلى متخصص في علم الحديث كالعلاَّمة أحمد محمد شاكر، ولذلك فإنَّه حذف الأحاديث الضعيفة في كتابه: (عمدة التفسير) فكان الواجب على الكاتب أن يستفيد من هذا التفسير، ولكنه لم يُوفق إلى ذلك.

٢- وهناك مختصر أفضل من اختصار الكاتب وهو: «**تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير**» للشيخ محمد نسيب الرفاعي، فقد بيَّن في آخر كل مجلد درجة الأحاديث فيه بشكل جديد، كما أنه وضع لكل صفحة عنواناً في أعلاها تبين للقارئ البحث الذي يريد قراءته، وقد وضع بعض التعليقات المفيدة كتعليقه على قصة العتبي التي حذفها وقال عنها: إنها غير صحيحة، وليس فيها دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ، لأن العنصر الهام في الآية هو استغفار الرسول ﷺ، وهذا غير ممكن وقوعه اليوم، إذْ كيف يستغفر لهم الرسول ﷺ بعد ما توفي وانقطع عمله؟ إن عنصر الشفاعة الذي كان قائما في حال حياته لم يعد قائماً بعد وفاته. «انظر مختصر ابن كثير للرفاعي ج١/ ٤٠٧»

٣- ورأيت «مختصر ابن كثير» لمختصره الشيخ محمد كريم راجح، يتألَّف من جزئين، وراجعت فيه بعض الأحاديث فرأيته قد ذكر الصحيح منها كقول رسول الله ﷺ: (**يكشف ربُنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة.. الحديث**).

عند قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾. «القلم: ٤٢»

وغيره من الأحاديث الصحيحة، كما أنه حذف بعض الأحاديث الضعيفة كقصة الصحابي ثعلبة بن حاطب الأنصاري التي أثبتها الكاتب في تفسيره، وفيها اتهام بالنفاق، لصحابي جليل كما تقدَّم، فنصيحتي للقرَّاء أن يقرأوا:

«عمدة التفسير» «وتيسير العلي القدير» «ومختصر ابن كثير» للشيخ محمد كريم راجح فهي خير من مختصر الكاتب الذي وجدت فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة كما سبق بيان بعضها، أضِف إلى ذلك عدم الأمانة العلمية في مختصراته مثل مختصر الطبري وغيره كما بينت ذلك فيما سبق.

***



(ثالثاً)

مخالفات خطيرة في تفسير جديد

رأيت في كتاب: «**تنوير الأذهان من تفسير روح البيان**» للشيخ إسماعيل حقي تحقيق وتعليق محمد علي الصابوني ما يلي:

قيل: مثلُ الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم، مَثلُ جندٍ قال لهم الملك تزينوا للعَرض عليّ غداً. فمن كانت زينته أحسن كانت منزلته عندي أرفع، ثم يُرسل الملكُ في السرِّ بزينة عنده ليس عند الجند مثلها، إلى خواص مملكته وأهل محبته؛ فإذا تزينوا بزينة المَلِك فخِروا على سائر الجند عند العرض على المَلك، فالله تعالى وفقهم للأعمال الصالحة، وزينهم بالطاعات الخالصة، وخصَّهم بالتوجهات الصافية، بتوفيقه الخاص قصداً إلى الاصطفاء والاختصاص، فميَّزهم بها في الدُّنيا عن سائرهم وبأجورها العظيمة في الآخرة لمفاخرهم، فليحمد الله كثيراً من استخدمه الله، واستعمله في طريق طاعته، وعبادته، فإنَّ طريق الخدمة قلَّ مَن يسلكه خصُوصاً في هذا الزمان، وسبيل العشق نَدَرَ مَن يشرع فيها من الإخوان، ولله عباد لهم قلوب عمارتها الأحزان، وأوطانها العشق والمحبة والطاعة.

أُحبك حُبين حُب الهوى ... وحُبًّا لأنك أهلٌ لِذاكا
فأما الذي هو حُب الهوى ... فذكرٌ شُغلتُ به عن سواكا
وأما الذي أَنتَ أهلٌ له ... فكشفك للحُجب حتى أراكا
فلا حَمْدَ في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

هذا الكلام الذي أقره الكاتب فيه مخالفات:

١- إنَّ التشبيه المذكور من أنَّ مثل الصالحين كمثل مَلِكٍ طلب جنده التزيُّن له، وأرسل لبعضهم زينة سرًّا لا توجد عند بعضهم، لا تنطبق على الصالحين الذين وفقهم الله للأعمال الصالحة، لأنهم كانوا يستحقونها كما أخبر

عنهم: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ . «الفتح: ٢٦»

٢- إنَّ قول إسماعيل حقي:

«ولله عباد لهم قلوب عمارتها الأحزان، وأوطانها العشق والمحبة والطاعة»!

إنَّ هؤلاء العباد إن كانوا مؤمنين فلا يعرفون العشق الذي لا يليق أن يدخل على قلوبهم، ولم يرد عليه دليل من القرآن والسنة، بل هو من بدع الصوفية الذين أخذوه عن اليونان، وقاسوا عشق المخلوق على الخالق، وهذا مخالف لما قاله الله عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ . «الشورى: ١١»

٣- إن حب الهوى الذي ذكره ونقله، وينسب إلى رابعة العدوية ليس له دليل من الكتاب والسنة، ولم يعرفه السلف الصالح! وأما الحب الذي فيه طلب كشف الحجاب حتى ترى الله، فهذا مخالف لقول الله تعالى عن موسى:
﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ . «الأعراف: ١٤٣»

وقوله ﷺ يصف حجاب ربه:

(حِجابه النور، لو كشفه لأحرَقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).
«رواه مسلم وغيره»

أقول: كان الواجب على الكاتب أن يحذف هذه الأفكار الخطيرة التي يتبناها الصوفية، وهي تخالف الإسلام ولا سيما وأن الكاتب يكتب على مختصراته:

(خادم الكتاب والسنة) وفي كتبه ما يخالف الكتاب والسنة:

وفي الحديث: **(والقرآن حُجة لك أو عليك).** «رواه مسلم»

فالقرآن حجة لصاحبه إذا وافقه، وحجة عليه إذا خالفه.

***

فكرة العشق الإلٓهي؟

هذه الفكرة دخيلة على الإسلام، لم يعرفها الرسول ﷺ وصحابته من بعده، ولا من التابعين، والأئمة المجتهدين، وغيرهم من السلف الصالح.
بل كان هؤلاء جميعاً يفهمون محبة الله هي اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع رسوله محمد ﷺ في كل ما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلاَّ بما جاء به وشرع، قال الله تعالى:
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.
«آل عمران: ٣١»

ولم نسمع كلمة العشق الإلٓهي إلاَّ عند المتصوفة، وهي فكرة مأخوذة من فلاسفة اليونان، وذلك حينما تُرجمت كتب اليونان إلى العربية في عهد الخليفة المأمون العباسي، حيث كان اليونان يُصورون آلهتهم، ويعشقون جمالها، أو هو مذهب القائلين بفناء الذات الإنسانية بالذات الإلٓهية، والآلهة عندهم مُصَوَّرة مَرئية، لأنَّها من بني الإنسان أو الحيوان، وقد تكون من النساء تُحَب وتُعشَق لجمالها وحُسنها، ولذلك يصورونها، ويضعونها في كنائسهم ومعابدهم!!
لقد أخذَ الصوفية بهذه الفكرة، فراحوا يتغزلون بأشعارهم بامرأة جميلة يزعمون أنَّها الذات الإلٰهية! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا.
أما الإلٰه عند المسلمين فلن يُرى في الدُّنيا، والدليل جواب الله تعالى لموسى عليه السلام عندما طلب رؤيته:

١- ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾. «الأعراف: ١٤٣»

٢- وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: (نور أنَّى أراه)؟. «رواه مسلم»

٣- وأصرح من ذلك قوله ﷺ:
(إنَّكم لن ترَوا ربكم حتى تموتوا). «رواه مسلم وغيره»

فهذه الأدلَّة ترد على الصوفية، وعلى ما أقرَّه الكاتب في الكتاب المذكور الذي حققه وعلَّق عليه، ولاسيما القصيدة المذكورة التي فيها حب الهوى، وكشف الحجاب عن الذات الإلٰهية حتى تراها رابعة العدوية التي نُسبت إليها القصيدة، ومن أقوالها الشنيعة: إن كنت أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني بها، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها!

لقد خالفتْ بهذا الكلام المنسوب إليها قول الله تعالى آمراً عباده:

﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾. «الأعراف: ٥٦»

وخالفت قوله ﷺ:

(اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار). «رواه أبو داود بسند صحيح»

* * *

الدعاء عبادة للجميع

رأيت في كتاب: «**تنوير الأذهان**» اختصار الكاتب مايلي:

اعلم أن عدم الدعاء بكشف الضر ـ مذموم عند أهل الشريعة والطريقة، لأنه كالمقاومة مع الله، ودعوى التحمُّل لِمَشاقّه من حبائل الشيطان.

فالتسبب واجب للعوام، والتوكُّل أفضل للمتوسطين، وأما الكاملون فليس يمكن حصر أحوالهم؛ فالتوكُّل والتسبب عندهم سِيّان:

(رُوي) أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما أُلقي في النار، لقيه جبريل في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، فقال: فاسأل الله الخلاص.

فقال عليه السلام: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»، وهذا مقام أهل الحقيقة.

من كبار المكملين الفانين عن الوجود بالرب المعبود، فأين أنت من هذا، فاسأل الله عفوه ومغفرته. «انظر تنوير الأذهان مختصر روح البيان للصابوني ج١/ ١٤٣»

هذا الكلام الذي ذكره المفسر، وأقره الكاتب، فيه مخالفات:

١- تقسيم الناس إلى أهل شريعة وطريقة لا دليل عليه، بل هو من تقسيم الصوفية.

٢- ثم إن قوله: بأن الكاملين يستوي عندهم التوكل والتسبب غير صحيح، ولا يليق بالمسلم أن يُعبِّر به؛ بل كان عليه أن يستدل بالآيات التي تحث على الدُّعاء كقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾. «الأعراف: ٥٥»

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾. «غافر: ٦٠»

وقول رسول الله ﷺ:

(**الدعاء هو العبادة**). «رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح»

٣- إن تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام ولكل قسم حكم خاص به خطأ كبير:

فقوله: [فالتسبب للعوام] غير صحيح يخالف قول الرسول ﷺ للأعرابي الذي ترك ناقته بدون عقال: (**إعقلها وتوكل**). «حسن رواه الترمذي»

فالأخذ بالأسباب لابُدَّ منه للعوام ولغير العوام.

٤- وأما قوله: «والتوكل أفضل للمتوسطين» فغير صحيح أيضاً، لأن التوكُّل لا ينافي الأخذ بالأسباب:

قال رسول الله ﷺ: **(لو توكلتم على الله حَق توكُله لرزَقكُم كما يَرزق الطيرُ، تغدو خِماصاً، وتروح بطاناً).**

«أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي».

فهذا الحديث يُبيِّن بوضوح أن المسلم لو توكَّلَ على الله حق توكله، وأخذ بالأسباب، لرزقه كما يرزق الطير الذي يذهب صباحاً ليفتش عن رزقه، ويرجع مساءً وقد ملأ بطنه بعد الجوع.

٥- وأما قوله: «وأما الكاملون فالتوكل والتسبب عندهم سيان» فغير صحيح، لأن التوكل لا ينافي التسبب كما تقدم وأما الأثر الذي ذكره عن إبراهيم وعدَّه من مقام أهل الحقيقة، فهو باطل، ولننظر إلى ما قاله أهل الحديث فيه:

(**حسبي مِنْ سؤالي علمُه بحالي**) لا أصل له. أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه السلام، وهو من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع، وقد ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء مشيراً إلى ضعفه، فقال:

«روي عن كعب الأحبار أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام. لما رموا به في المنجنيق إلى الناس استقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال إبراهيم: «حَسْبي من سؤالي علمه بحالي».

وقد أخذ هذا المعنى بعض من صنف في الحكمة على طريقة الصوفية فقال: «سؤالك منه (يعني الله تعالى) اتهام له».

وهذه ضلالة كبرى! فهل كان الأنبياء صلوات الله عليهم مُتَّهِمينَ لِربهم حين سألوه مختلف الأسئلة؟ فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ . . ﴾

إلى آخر الآيات وكلها أدعية، وأدعية الأنبياء في الكتاب والسنة لا تكاد تُحصى، والقائل المشار إليه قد غفل عن كون الدعاء الذي هو تضرع والتجاء إلى الله تعالى عبادة عظيمة بغض النظر عن ماهية الحاجة المسؤولة، ولهذا قال ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)** ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. «غافر ٦٠»

ذلك لأن الدعاء يظهر عبودية العبد لربه وحاجته إليه ومسكنته بين يديه، فمن رغب عن دعائه، فكأنه رغب عن عبادته سبحانه وتعالى، فلا جرم جاءت الأحاديث متضافرة في الأمر به والحض عليه، حتى قال ﷺ:

(مَن لا يَدْعُ الله يَغضبْ عليه). «حسن رواه الحاكم»

وقال ﷺ: **(سَلوا الله كلَّ شيءٍ حتى الشِّسْعَ، فإن الله عز وجل إنْ لَمْ يُيَسِّره لَم يَتَيسَّر)**. «حسن رواه ابن السني»

وبالجملة فهذا الكلام المعزو لإبراهيم عليه الصلاة والسلام لا يصدر من مسلم يعرف منزلة الدعاء في الإسلام فكيف يقوله من سَمَّانا المسلمين؟!

ثم وجدت الحديث قد أورده ابن عراق في:

«تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة».

وقال: قال ابن تيمية: «موضوع». «تنزيه الشريعة ١/ ٢٥٠»

«انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للمحدث الألباني جـ ١/ ٢٩»

* * *

(١) أخرجه أصحاب السنن بسند صحيح، وهو بلفظ: «مخ العبادة» ضعيف.

من هو إسماعيل حقي؟

أولاً: قال الكاتب في مقدمة مختصر كتاب: (روح البيان) الذي سماه:

(تنوير الأذهان من روح البيان):

أما بعد فإن تفسير: «روح البيان» للإمام الجليل الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي من علماء القرن الثاني عشر الهجري، من التفاسير الشهيرة التي نالت استحسان كثير من العلماء في البلاد الإسلامية، وهو بحق موسوعة كبيرة ضخمة، ضمَّن فيها الشيخ كثيراً من الروايات والأخبار والحِكَم والعِظات، والقَصَص الممتِعْ إلى جانب التفسير، وله علم واسع. . وقد سلكت في هذا التفسير الطريقة التالية أَعرضها بإيجاز:

١- اختيار أَقوى الوجوه وأَرجحها في التفسير للآيات.

٢- حذف ما يتعلق باللغة الفارسية.

٣- حذف الروايات الضعيفة من الأَحاديث والآثار.

٤- تخريج ما ورد من الأَحاديث والآثار.

ثانياً: قال خير الدين الزركلي في ترجمته:

إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المَوْلى أَبو الفداء توفي (١١٢٧هـ): متصوف مُفسِّر، تركي، مُتَعَرِّب، ولد في (آيدوس)، وسكن في القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة «الخلوتية» فنُفي إلى (تكفور طاغ) وأُوذي وعاد إلى (بروسة) فمات فيها، له كتب عربية وتركية، فمن العربية:

«روح البيان في تفسير القرآن» «والرسالة الخليلية». «١/ ٣٠٩»

ثالثاً: وقال في معجم المطبوعات ليوسف سركيس:

وجاء القسطنطينية ثم انتقل إلى (بروسة) وهناك فيما كان يبحث عن مسائل غامضة تتعلق بالتصوف أَوشى به بعض العلماء فنُفي إلى (تكفور طاغ).

رابعاً: وقال الشيخ محمد المغراوي في كتاب: المفسرون: إسماعيل حقي من الصوفيين الكبار الذين استغلوا اسم التفسير لنشر مذهبهم الباطل، فقد جعل تفسيره لنشر الحلولية الخبيثة، ومن شاهدَ تفسيرَه في كِبَرِ حَجْمه اغترّ به، وهو كما قال الله تعالى: ﴿ ۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾. «المنافقون ٤»

وليته كان كذلك، ولكنها خُشبٌ مُحَرَّقة، تحرق من اقترب إليها، فلا أَدري متى يتخلص المسلمون من هذا الغُثاء الضار المسموم؟

وأَما عقيدة الصفات فهو مؤول كبير في جميع الصفات على طريقة الرازي وأَضرابه.

ثم ذكر المغراوي عدداً من تأويلاته، وعباراته التي فيها الحلولية ووحدة الوجود عند كثير من الصوفية:

قال بعضهم: الأَعيان من حيث تعيناتها العدمية، وهي الإمكان، والحدوث راجعه إلى العدم، وإن كانت باعتبار الحقيقة والتعينات الوجودية عين الوجود، فإذا قرع سمعك من كلام العارفين: أَن عين المخلوق عدم، والوجود كله لله، فتلقَّ بالقبول، فإنَّه يقول ذلك من هذه الجهة. «تفسير إسماعيل حقي ٢/ ٩٦»

أَقول: إن هذا الكلام أَشبه بكلام ابن عربي القائل:

الـربُ عبـدٌ والعبــدُ ربّ: يا ليتَ شِعري مَن المُكلف؟



التناقض فيما يكتبه الصابوني

ذكر الكاتب في مختصر ابن جرير الذي اختصره فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾. «البقرة: ٢٩»

أي: علا على السماء وارتفع، ثم ذكر الكاتب في الحاشية تعليقاً على كلمة (ارتفع) ما نصه: «علواً يليق بجلاله، وقد ذكر الطبري أقوالاً عديدة في الاستواء للمفسرين، وردَّها، لأنها خلاف المفهوم من كلام العرب، ثم قال: الاستواء هنا بمعنى العلو والارتفاع:
علا عليها علوَّ ملك[1] وسلطان لا علو انتقال وزوال».

«انظر: مختصر الطبري للصابوني ج ١/ ١٨»

أقول: لقد ذكرت في كتابي التنبيهات على صفوة التفاسير عند تفسير الكاتب لهذه الآية عندما قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ عمد إلى خلقها وقصد.

قلت: إن هذا تأويل لمعنى (استوى) وفيه نظر:

١- جاء في البخاري (كتاب التوحيد ج ٨/ ١٧٥) مايلي:

أ - قال أبو العالية: استوى: ارتفع.

ب- وقال مجاهد: علا على العرش.

٢- وقال الطبري: علا عليهن فدبرهن بقدرته. «ج١/ ٤٣٠ انظر التنبيهات ٧٦»

رَدَّ الكاتب الصابوني في كتابه: (كشف الافتراءات) فقال:

زعم الكاتب زينو أنني أولت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ تأويلاً باطلاً فقلت: عمد إلى خلقها وقصد، وهذا في نظره باطل.. إلخ.

والجواب: أن الكاتب زينو لا يفرق بين النصوص، ولا يميز بين الأساليب العربية، فكل كلمة (استوى) فهي عنده بمعنى علا وجلس، وهذا خطأ فاحش، فإن قوله تعالى:

(١) هذا حق، والله أيضاً موصوف بعلو القدر والذات.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . «البقرة: ٢٩»
غير ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ . «الأعراف: ٥٤»
ولكنه يريد أن يوضح بثاقب نظره ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أنها مثل :
﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ هذه استوى، وهذه استوى، والكل عنده سواء، ولا فرق بين الحمَل والجمَل، ولا بين الذُّر والبُر!! وأنا أنقل هنا كلام ابن كثير ـ العالم السلفي ـ ليظهر للسادة القراء جهل هذا المتعالم الذي لا يفرق بين الطيخ والبطيخ، ويريد أَن يتظاهر بالعلم والمعرفة بانتقاص مذهب السلف .

«انظر كشف الافتراءات ص ١٠٠»

أَقول: إن كلام الكاتب هذا فيه تناقض وافتراء :

١- إن الكاتب رجَّح في مختصر الطبري معنى (استوى: علا) كما سبق، ثم نقض كلامه وفسرها بمعنى: عمد وقصد .
٢- زعم أَنني قلت: تأويلاً باطلاً، فزاد كلمة باطلاً من عنده، كما أنه زاد كلمة (جلس) عامله الله بما يستحق .
٣- وأَما قوله: إن الكاتب زينو لا يفرق بين النصوص، فكل كلمة (استوى) فهي عنده بمعنى علا وجلس، وهذا خطأ فاحش فهو اتهام للإمام البخاري، والتابعين: مجاهد وأَبي العالية، والإمام الطبري الذين نقلت عنهم التفسير لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ علا وارتفع، بل هو اتهام للصابوني الذي أَقر تفسير الطبري في حاشية المختصر وأنه هو الذي انتقص مذهب السلف بمخالفتهم واتهامهم بالخطأ الفاحش وعدم التفرقة بين كلمة (استوى) في قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . «البقرة: ٢٩»
وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ . «الأعراف: ٥٤»
لأَنهم فسروا (استوى) علا وارتفع .

❊❊❊

الافتراءات في كشف الافتراءات

قال الكاتب في كتابه الذي سماه : (كشف الافتراءات) وفيه افتراءات :

١- إن ما نقله البخاري من معنى (استوى) بمعنى علا وارتفع هذا المعنى اللغوي، وليس تفسيراً للآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . «البقرة: ٢٩»
بدليل ما نقله عن مجاهد (استوى) : علا على العرش .
وقد فهم صاحب التنبيهات الألمعية بأن تفسير لآية البقرة :
﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، فلم يميز بينهما ، فخطأ الصواب، مع أنه لو نظر بنور البصيرة لعرف أن قول ابن كثير الذي نقلته هو الصواب، ورأيه هو الخطأ .

أقول: إن الكاتب كلامه غير صحيح والدليل هو :

أ- لقد ذكر البخاري عن أبي العالية تفسير : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : ارتفع (فسوّاهن) : خلقهن، أليس هذا التفسير يشير إلى الآية المذكورة :
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ ؟ .

ب- وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : (قال أبو العالية :
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ارتفع ، فسوّى : خلق) .

وفي رواية الكشميهني : (فسوّاهن : خلقهن) وهو الموافق للمنقول عن أبي العالية، لكن بلفظ : (فقضاهن) كما أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عنه في قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : ارتفع .
وفي قوله : فقضاهن : فخلقهن، وهذا هو المعتمد . «انظر فتح الباري ١٣/ ٤٠٥»

جـ- لقد صرَّح البخاري وابن حجر بأن التفسير للآية كما رأيت، وليس المعنى اللغوي كما زعم الكاتب، ولكن لو فرضنا أن المراد المعنى اللغوي، أولا يجوز لنا أن نُفسر الآية باللغة العربية، والله تعالى يقول عن القرآن :
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . «يوسف: ٢»

٢- ثم قال الكاتب في كتابه السابق : فهل كان ابن كثير جاهلاً لمعنى الآية حتى يقول زينو : لقد أمر الله اليهود أن يقولوا : (حطة) فقالوا : (حِنطة) تحريفاً

لكلام الله، وأَخبرنا الله بأَنه ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فقال المتأولون: (استولى) فانظر ما أَشبه لامهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها.

ثم قال الكاتب: ما هذا السفهُ والجهلُ والتطاول على علماء السلف؟ أَنت تتحدث عن آية البقرة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وتُخطِّئ رأي ابن كثير.

فلماذا تقحم موضوعاً بموضوع، وتشبه المفسرين باليهود.

وإِذا كنت جاهلاً باللغة العربية أَفلا تستر جهلك بالسكوت عن الخوض في مثل هذه الأُمور، وحق لنا بعد أَن نقول كما قال الشاعر:

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لايفهم

«انظر كشف الافتراءات ص ١٠٢ ـ ١٠٣»

أقول: إن كلام الكاتب هذا غير صحيح أبداً:

أ- إنني لم أَتعرض لذكر ابن كثير في كتابي (التنبيهات)، وتعرضت لكتاب صفوة التفاسير الذي فسر الآية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ عمَد وقصَد، وقلت: هذا مخالف لما جاء في البخاري وتفسير الطبري. علماً بأنه ذكر أَقوالاً: منها: أَقبل، وعمَد، وعلا، وارتفع، ثم قال الطبري: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات، ثم قال: والعجيب مِمَّن أَنكر المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذي هو بمعنى العلُو والارتفاع، هرباً عند نفسه من أَن يلزمه بزعمه ـ إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك ـ أَن يكون إنما علا وارتفع بعد أَن كان تحتها ـ إلى تأويله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه! فيقال له: زعمت أَن تأويل قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أَقبل، أَفكان مُدْبِراً عن السماء فأَقبل إليها؟ فإن زعم أَن ذلك ليس بإِقبال فعل، ولكنه إِقبال تدبير، قيل له: فكذلك: فقل: علا عليها علُو ملك وسلطان، لا علُو انتقال وزوال.

«الطبري تحقيق شاكر ١/ ٤٣٠»

ب- قلت في كتابي: (التنبيهات): ذهب بعض المفسرين من الأَشاعرة وغيرهم إلى تأويل (استوى) بمعنى استولى، وهذا خطأ كبير نبه عليه العلماء بقولهم:

لقد أَمر الله اليهود أَن يقولوا: (حِطَّة) فقالوا: (حنطة) وأَخبرنا أَن الله استوى على العرش، فقال المتأولون: استولى فانظر ما أَشبه لا مهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها: (ذكرها ابن القيم في قصيدته النونية، ونقلها عنه محمد الأَمين الشنقيطي في كتابه: منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٦). «انظر تنبيهات هامة على صفوة التفاسير ص ٧٧»

جاء الصابوني فحذف هذا العَزوَ لابن القيم والشنقيطي، وزعم أَنه من كلامي وفي حق ابن كثير!! فأين الأمانة؟

جـ- وإني لأَعجب من هذا الهجوم الذي يترفع عنه المسلم فضلاً عن عالم يتصدى للتفسير، ولاسيما أَنه باطل ومحض افتراء كما بينت، ولكن الله سيحاسب كل إنسان على عمله.

د - أَلم يسمع الصابوني قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾. «النحل: ١٠٥»

وقوله ﷺ: **(إيَّاكم والكذب! فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذِبُ، ويتحرَّى الكذب، حتى يُكتبَ عند الله كَذاباً)**. «رواه مسلم وغيره»

وقوله ﷺ: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعدَ أَخلفَ، وإذا اؤتُمِنَ خَان)**. «رواه البخاري»

وقوله ﷺ: **(أَربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة مِنهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتُمِن خان، وإذا حدَّثَ كذب، وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فجرَ)**. «متفق عليه»

[**الفجور**: الميل عن الحق والاحتيال في رده].

وقد مال الصابوني عن الحق، واحتال في رَدِّه، وخاصم وفجر أَسأل الله لنا وله الهداية والمغفرة.

***

تنبيه مُهم جداً

ذكر الكاتب في كتابه: (كشف الافتراءات) تحت هذا العنوان ما خلاصته: هناك نقطة هامة غفل عنها الذين حملوا الآية على ظاهرها، فأثبتوا الساق لله عملاً بظاهر الحديث، لأن الله حجب الكفَّار عن رؤيته فقال:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾. «المطففين: ١٥»

فلو حملنا الحديث على ظاهره أن الله تعالى يكشف عن ساقه، فيسجد له المؤمنون، ويريد الكفار والمنافقون السجود فلا يستطيعون، والكفار لا يرون شيئاً من الله عز وجل، ولا ساقاً، ولا يداً، ولا وجهاً، لأن الله تعالى خصّ ذلك النعيم بأهل الجنة، وهذا من أظهر أدلَّة الجمهور، فتدبره فإنَّه نفيس . . . «انظر كشف الافتراءات ص ٣٠ ـ ٣١»

أقول: هذا التنبيه فيه مخالفات كبيرة:

١- إن استدلال الكاتب بقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ على أن الكفَّار محجوبون عن رؤية الله غير صحيح، ولو رجع إلى تفسير الآية في تفسير ابن كثير، ومختصره الذي اختصره لما تبجح بهذا الكلام، وادَّعى أنه نفيس، فقد قال ابن كثير في تفسير الآية: «وقد قال ابن جرير بسنده عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يُحجَب عنه الكافرون، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية، أو كلاماً هذا معناه». «ج ٤/ ٤٨٦ المختصر ٣/ ٦١٥»

٢- ونقل الشوكاني في تفسيره قال مجاهد: محجوبون عن كرامته.

«الشوكاني ج٥/ ٤٠٠»

٣- قال ابن تيمية في الفتاوى:

وقالت طائفة من أهل الحديث والتصوف: بل يرونه، ثم يحتجب، كما دل على ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره من حديث أبي سعيد، مع موافقة ظاهر القرآن.

قالوا وقوله: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ يُشعر بأَنهم عاينوا ثم حُجبوا، ودليل ذلك قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فعلم أَن الحجب كان يومئذ، فيشعر بأَنه يختص بذلك اليوم، وذلك إِنما هو في الحجب بعد الرؤية قالوا ورؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيماً، إِذ اللقاء ينقسم إِلى لقاء على وجه الإكرام، ولقاء على وجه العذاب، فهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء. «ج٦/ ٤٦٦»

٤- ثم إِن استدلال الكاتب بالحديث وأَن الكافرين والمنافقين يريدون السجود فلا يستطيعون غلط فاحش وسوء فهم لأَن الحديث ليس فيه ذكر للكافرين، وهذا نصه: **(يكشف ربُنا عَنْ ساقه فيسجُد له كلُ مؤمن ومؤمنة، ويبقى مَن كان يسجدُ في الدنيا رياءً وسُمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحدا)**

«رواه البخاري»

فالكفرة لم يسجدوا لله قط، والمنافقون هم الذين كانوا يسجدون رياء وسمعة، فسقط استدلال الكاتب من أَن الكافرين يرون الله، ويريدون السجود لله.

٥- أَما قول الكاتب: والكفار لا يرون شيئاً من الله عز وجل، لا ساقاً ولا يداً، ولا وجهاً، لأَن الله خص ذلك النعيم بأَهل الجنة.

فالجواب: أَن كلامه يثبت صفة (الساق) لله تعالى، فإِذا كان لايرى الآية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ من آيات الصفات، وقد حذف صدر حديث:

(يكشف ربنا عن ساقه) وقال: **(يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة..)** في صفوة التفاسير، ومختصر الطبري فبأيِّ شيءٍ أَثبت صفة (الساق)؟

وعقيدة المسلمين لا يصفون الله إِلاَّ بما وصف به نفسه سبحانه، أَو وصفه به رسوله ﷺ.



لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟

ذكر الكاتب في جريدة (المسلمون) مقالاً بعنوان:
(آداب الحوار عند السلف):
قال فيه: إن القرآن يعلمنا آداب الحوار، وذكر بعض الآيات التي تؤيد ذلك، مثل قول الله تعالى في حق الكفار:
﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. «سبأ: ٢٥»
وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. «سبأ: ٢٤»
وعتب على رجل يدعي السلفية، وقد ألّف كتاباً يرد على من خالفه في الرأي بألفاظ مثل: هل سمعت بمُفسِّر كذَّاب، لا يدري السنة، ولا يحفظ الكتاب، كثير الفساد وقليل الرشاد.. إلخ.
إن الكاتب ينكر على هذا السلفي الذي ذكر رجلاً بهذه الصفات، ولم يذكر اسمه، ولكن الكاتب الصابوني ذكر في حق شخص، وسماه باسمه بما هو أشد وأبشع!!
قال في حق مسلم وسماه باسمه: (الكاتب زينو):
١- «إن فلاناً لا يُصَدِّق حتى تنزل عليه مطارق الحديد من الملائكة الأشداء لتكفيره بعض المسلمين بدون علم ولا عقل!» ولم يذكر الدليل على ذلك، فتبين كذبه.
٢- «إن فلاناً وسماه باسمه لا يصدق حتى تنزل عليه الملائكة بالعذاب..» لأنه خالفه في مسألة «سماع الأموات»، والأحناف والكاتب منهم ينكرون سماع الأموات، ولعله لم يقرأ كتاب:
(الآيات البينات على عدم سماع الأموات) للعلامة شكري الألوسي، وقد حققه المحدِّث الألباني، وفيه الأدلة الكثيرة على عدم سماع الأموات، فليرجع إليه القارئ.

٣- وقال: «إنه مُبتلى بمرض خطير هو التضليل والتكفير» ولم يذكر الدليل فتبين عدم صدقه.

كل هذا الكلام السيء يتنافى مع ما كتبه من آداب الحوار عند السلف، والله يحذرنا من هذا العمل قائلاً:

أ- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾. «الصف: ٢، ٣»

ب- ومن دعاء الرسول ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع). «رواه مسلم»
[أَي لا أَعمل به، ولا أُبلِّغه غيري، ولا يبُدِّل مِن أَخلاقي السيئة].

جـ- وصدق الشاعر حين قال:

لا تنهَ عن خلُق، وتأتيَ مثله　　عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم





أين الأمانة العلمية في النقل؟!

١- حين كتب هذا الكاتب مقالات في مجلة المجتمع الكويتية، عندما زار الكويت وظهرت عقيدته خارج السعودية، حيث زعم أن ابن تيمية يقول في فتاواه: «**والعلماء أنصار فروع الدين، والأشعرية أنصار أُصول الدين**».

ولَمَّا كان هذا تَقَوُّلاً على شيخ الإسلام، فقد تألفت لجنة من أساتذة الشريعة بجامعة أُم القرى، وناقشوه حول مقالاته عامة، وتَقَوُّله على ابن تيمية خاصة، وأَحضروا الفتاوى ج ٤/ ١٥ حيث قال شيخ الإسلام:

«وكذلك رأيت في فتاوى الفقيه أَبي محمد فتوى طويلة، فيها أشياء.. إلى أَن قال أَبو محمد الفقيه: والعلماء أَنصار فروع الدين والأشعرية أنصار أصول الدين». «الفتاوى لابن تيمية ج٤/ ١٦»

ثم عقب ابن تيمية على كلامه فقال:

«ثم بعد حدوث الفتنة وقبلها لا تجد من يمدح الأشعري إلاَّ إذا وافق السنة والحديث، ولا يذمه إلاَّ بمخالفة السنة والحديث». «الفتاوى ج٤/ ١٧»

ومن المعلوم أَنه تم إبعاده عن التدريس في الجامعة منذ ١٤٠٤هـ.

٢- ذكر الكاتب في كتابه: (صلاة التراويح) فقال ص ٥٦:

«**عن الحسن أن عمر جمع الناس على أُبَي بن كعب، فكان يُصلي لهم عشرين ركعة**». «رواه أَبو داود»

وعزا الكاتب هذا في الحاشية إلى كتاب: «المغني ج٢/ ١٦٧»

أ- رجعت إلى المغني لابن قدامة فإذا به يقول:

(.. **صلَّى بهم عشرين ليلة**) فبدَّل (ليلة) إلى (ركعة). «ج٢/ ١٦٧»

ب- ورجعت إلى سنن أَبي داود، فإذا به يقول: «**عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أُبي بن كعب، فكان يصلي لهم عشرين ليلة**». «ج٢/ ١٣٦»

فبدَّل (ليلة) إلى (ركعة).

جـ- لقد بدَّل الكاتب كلام (المغني)، وبدَّل أيضاً الأثر الوارد عن عمر، ليثبت - بغير حق - أن صلاة التراويح عشرين ركعة. علماً بأن هذه الرواية ضعيفة، وعِلَّتها الانقطاع بين الحسن وعُمر.

٣- ذكر الكاتب في مجلة اليمامة عدد (١٠٣٠/ ٧/ ٤/ ١٤٠٩هـ) الآتي:

(وفي نفس صحيح البخاري ورد أن الرسول ﷺ صلّى أكثر من إحدى عشرة ركعة، حيث صلى ركعتين ثم ركعتين إلى أن صلى ثلاث عشرة ركعة، ثم أوتر).

أقول: هذا الذي نقله عن البخاري غير موجود، والموجود:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

أ - **كان صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة (يعني بالليل).**

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

ب- **(كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر، وركعتا الفجر).**

«البخاري ٢/ ٤٥»

والقارئ يرى الفرق الكبير بين نقل الكاتب (١٣ ركعة ثم أَوتر) وبين الموجود في البخاري (١٣ ركعة منها الوتر وركعتا الفجر) وهذا يُعد افتراء على البخاري، وتقوّلاً على رسول الله ﷺ وسبق أَن بتر أَول الحديث:

(يكشف ربنا عن ساقه) فقال: وفي الحديث: (يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة..)

«انظر: صفوة التفاسير ج٣/ ٤٣٠»

وهذا البتر لا يرضاه الله والرسول، ولا يرضاه مسلم ومن المؤسف أنني نصحت الصابوني شفوياً، وكتبت عن هذا الخطأ الفادح، ولكن الصابوني رفض ولم يعترف بخطئه ولم يثبت أول الحديث في كتابه: (صفوة التفاسير) و (مختصر الطبري) حتى الآن.

أسأل الله لي وله الهداية والرجوع إلى الحق إنه سميع قريب.

***

وجوب النصيحة

قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة، قلنا لِمَن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المُسلمين وعامَّتِهم**». «رواه مسلم»

وقال ﷺ: «**كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون**». «حسن رواه أحمد»

١- النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له.

٢- قال ابن بطال: في هذا الحديث أَن النصيحة تسمى ديناً وإِسلاماً، وأَن الدين يقع على العمل، كما يقع على القول.
قال: والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إِذا علم الناصح أَنه يقبل نصحه، ويُطاع أَمره، وأَمِنَ على نفسه المكروه، فإِن خشي أَذىً فهو في سعة.

٣- النصيحة واجبة على كل مسلم، ولاسيما في الأُمور الدينية، وخاصة إِذا اطَّلع المسلم على كتاب منشور فيه أَخطاء تضر بعقيدة المسلمين وأُمور دينهم، فالواجب على هذا المسلم المطلع أَن يقدّم النصيحة للمؤلف ليصحح أَخطاءه، وإِذا رفض النصيحة، وتصحيح الأَخطاء، وجب على هذا الناصح أَن يُبين أَخطاءه للناس، ليعرفوا الحق من الباطل، فإِن هذا من النصح لهم.

٤- من أَدب النصيحة أَن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق.

٥- على المنصوح أَن يقبل النصيحة من أَي شخص كان، ويشكر الناصح الذي نصحه، ليرجع عن خطئه في حياته، ولئلا تستمر أَخطاؤه بعد موته.

٦- وفي الحديث السابق بيَّن الرسول ﷺ أَن كل إِنسان مُعَرَّضٌ للخطأ، وخير الخطائين التوابون الذين يرجعون عن خطئهم، ويتوبون إِلى الله، ويصلحون أَخطاءهم، ولم يُصِرّوا على فعلهم، وهم يعلمون.

٧- ويُفهم من الحديث: أَن شر الخطائين الذين لم يتوبوا من خطئهم، ولم يصلحوا أَخطاءهم، وأَصرّوا عليها.

٨- قال رسول الله ﷺ: (**لا يدخلُ الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذَرَّة مِن كِبر، قيل: إِن الرجل يُحِب أَن يكون ثوبه حسناً، ونعلُه حسنة، قال: إِن الله جميل**

يُحِب الجمال، الكِبر : بطر الحق، وغمط الناس). «رواه مسلم»

(بطر الحق : رَدُّ الحق، وغمط الناس : احتقارهم).

٩- يفهم من هذا الحديث أن الذي يَرُدُّ الحق، ويحتقر الناس لايدخل الجنة دون مجازاة. «انظر شرح النووي ٢/ ٩١»

١٠- ليس من الغريب أَن يُخطيء المؤلف في كتبه، فكل مؤلف معرض للخطأ كما سبق، ولكن المصيبة أن لا يعترف المؤلف بخطئه، ويُصِر عليه، ويَرُدُ النصيحة، ويحتقر الناصح.

١١- لقد رَدَّ كثير من العلماء على هذا الكاتب، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجلة المجتمع الكويتية، ومجلة الدعوة السعودية، بعنوان: **«تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل»** وقد طُبِعَ في كتاب نشرته(المكتبة السلفية بالكويت) ورَدَّ عليه الدكتور صالح الفوزان في المجلة أَيضاً، ورَدَّ عليه الشيخ سفر الحوالي، والدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية في مصر، والدكتور محمد أَبو رُحَيم الذي نقده في اثنتين وعشرين مسألة في كتاب: **«النبوة والأنبياء»** للصابوني. وطبع في الكويت، وذكر الكاتب في كتابه هذا أُموراً باطلة لا تليق بكرامة مريم، وعيسى عليهما السلام، نقلها عن الأناجيل.

«انظر كتاب النبوة والأنبياء ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧»

١٢- وقد ردَّ عليه (محمد سيف العجمي) من الكويت في كتاب سماه:

«الرد على أخطاء محمد علي الصابوني فيما سماه بالهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح».

١٣- ولقد نصحت الكاتب بلطف، وبينت له أَخطاءه، ولاسيما عند حذفه لأول الحديث الذي يفسر الآية متعمداً، كما هو واضح في التنبيه الأول، وهذا عمل خطير تقشعر له الأبدان، وينكره أَهل الإيمان، ومع الأسف الشديد، فقد أُعيد طبع كتاب (صفوة التفاسير) ولم يُثبت أَول الحديث الذي حذفه متعمداً رغم النصح والتذكير، مما يدل على إِصراره على أَخطائه، وخاصة

أَن أَكثرها في العقيدة، لذا كان لابُدَّ من بيان الأَخطاء دفاعاً عن القرآن وتفسيره، وعن الحديث وبيانه، ونصيحة للذين يقرأون كتبه ليعرفوا الحق من الباطل.

١٤- إن الرجوع عن الخطأ هو من الفضيلة، وأَخلاق السلف الصالح الذي لايزال في المسلمين من يعمل به، فقد التقيت بمدرسٍ في الحرم النبوي يُعلِّم القرآن وتجويده، ومَرَّ على كلمة ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾. «آل عمران: ١١٣»
فمد الهمزة حركة واحدة عند الوقف، ولما انتهى راجعته بلطف وسألته عن مقدار مدها فأَجاب حركتين، فقال لي مُتأسفاً: ولماذا لم تنبهني في الدرس؟ وفي اليوم الثاني رآني مسروراً وقال لي: لقد نبهت الطلاب على مَدِّ الهمزة حركتين.

١٥- إِنني بحمد الله أَصدرت عدداً من الكتب، وهذا هو الثامن والعشرون، وكنت أَنتظر نصيحة من أَحد القراء ليدلني على الخطأ فأُصححه، وقد أَعطيت كتابي: «**قطوف من الشمائل المحمدية**» لأَحد المدرسين ليراجعه لي، وشكرته على ذلك، وإِنِّي أَطلب من القرَّاء أَن يكتبوا لي ما يجدونه من الأَخطاء لأُصححها، داعياً لهم بالخير، عملاً بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**رحم الله امرءاً أَهدى إِليَّ عيوب نفسي**).
ويعلم الله لو حدثت عندي أَخطاء كثيرة كما حدثت عند الكاتب لأَلفت كتاباً خاصاً ذكرت فيه تراجعي عن الأَخطاء، وشكرت من نبهني عليها.

١٦- أَدعو الكاتب: محمد علي الصابوني، أَن يتقِّي الله في نفسه، وليكف عن التأليف المحرَّف، ويتوب إِلى الله تعالى مما حصل منه، وليعَدِّله، ولْيعلن رجوعه ويترك المكابرة، كيف وقد أَجمع علماء العصر على أَغلاطه وتحريفاته.
وختاماً أَدعو الله لي وللأَخ محمد علي الصابوني قائلاً: اللهم أَرنا الحق حقّاً وارزقنا اتباعه، وحَببنا إليه، وأَرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، وكرهنا فيه، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم. ١/ شعبان ١٤٠٧هـ.

«انظر كتاب: تنبيهات هامة على صفوة التفاسير للمؤلف»

* * *

مناقشة الصابوني في جامعة أم القرى

فضيلة الشيخ **محمد جميل زينو** زينه الله بالتقوى والإيمان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإجابة لطلبكم بشأن المناقشة التي جرت بين لجنة من أساتذة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ومحمد علي الصابوني بشأن ضلالاته التي نشرها في مجلة المجتمع الكويتية أفيدكم أنني كنت أحد أعضاء هذه اللجنة وقد تم ذلك في ليلة ١٦/ ٣/ ١٤٠٤هـ وقد ظهر لي من خلال نقاش دامَ أَكثر من ست ساعات ما يلي:

١- أَن الصابوني من أَجهل طلاب العلم بأُمور العقيدة والدليل على ذلك خلطه الحق بالباطل في مقالاته المذكورة.

٢- ظهر من الرجل عصبية هوجاء وافتراء فاضح حيث زعم ـ وبئس ما زعم ـ أن السلف الصالح يكفرون الأشاعرة وهذا لم يقله أحد قبل الصابوني ممن يوثق بدينه وعقله وعلمه، ثم زاد في الافتراء فيما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعدم أَمانته فيما نقله من فتاوى شيخ الإسلام.

٣- إن الرجل ينطلق من منطلق فاسد وهو قياس صفات الباري على صفات خلقه يقول:

إن الأشاعرة لهم ما يسوغ التأويل فيه، بل ذلك ضرورة فعلوها؛ وهو بهذا شعر أو لم يشعر يتهم نصوص الوحي بأنها لم تدل الناس على الخير وإنما دلَّتهم على الضلال والذي أَنقذ الناس هو تأويل الأشاعرة!!!

٤- لا يرعوي الرجل في إطلاق التهم والمجازفة بالطعن في أَعراض الناس وإليك الدليل على ذلك فقد نشر أَخيراً في ١٤٠٩هـ كتاباً بعنوان:

«**كشف الافتراءات**» قال فيه بالحرف الواحد ص ١٨٢ عن اللجنة التي ناقشته في الجامعة في خطاب وجهه إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز قال:

«وقد أراد الزملاء معي بالجامعة حين التقينا بهم منذ عامين أن أحكم عليهم - أي الأشاعرة - بالضلالة وأن أُخرجهم من حظيرة أهل السنة فقلت لهم دون ذلك خرط القتاد، فأنا ليس عندي استعداد أن أسخط الله عز وجل لأرضيكم»!!!
ولعلك لو ذهبت إلى كلية الشريعة لرأيت المحضر بأم عينك وحينئذ يظهر لك أن الرجل جمع بين الخبث وفساد الطوية والافتراء لأجل أن ينصر ضلالاته فقط ولو بأسلوب دنس.

٥- سنقف جميعاً بين يدي الله وهو الحكم العدل ليجزي المحسن على إحسانه ويعاقب الظالم المفتري على إخوانه:
﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾. «الشعراء: ٢٢٧»

٦- لو كان في الرجل ورع لقال: رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي والرجوع للحق خير من التمادي في الباطل ولو قرأ كتاب التدمرية الذي لا تتجاوز قيمته خمسة ريالات لانكشفت ظلماته وضلالاته، ولكنه التعصب البدعي البغيض أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك وثبتنا على الحق حتى نلقاه وهو راضٍ عنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

د. محمد سعيد القحطاني

الشيخ ابن باز يَرُدُّ على الصابوني

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأَصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد نشرت صحيفة المدينة في عددها في ٢٤/ ١/ ١٤١٥هـ مقالاً للشيخ محمد علي الصابوني عفا الله عنا وعنه، يتضمن ما نصه:

«ومما يتعلَّق بالصورة والمظهر أَن يُهذب المسلم شعره، أَو يقص أَظافره ويتعاهد لحيته، فلا يتركها شَعثة مُبعثرة. دون تشذيب أَو تهذيب، ولا يتركها تطول بحيث تُخيف الأَطفال، وتُفرغ الرجال، فكل شيء زاد عن حده انقلب إِلى ضده، فمن الشباب من يظن أَن أَخذ أَيّ شيءٍ من اللحية حرام، فنراه يُطلق لها العنان، حتى تكاد تصل إِلى سرته، ويصبح في مظهره كأَصحاب الكهف:

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾. «الكهف: ١٨»

إِلى آخر ما ذكره عن النبي ﷺ وعن ابن عمر رضي الله عنهما.

ولمَّا كان في هذا الكلام مخالفة للسنة الصحيحة وإِباحة لتشذيب اللحية وتقصيرها، رأيت أن من الواجب التنبيه ما تضمنه كلامه ـ وفقه الله ـ من الخطأ العظيم والمخالفة الصريحة لسنة النبي ﷺ، فقد ثبت عنه ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما أنه قال: «**قُصّوا الشوارب وأَعفوا اللحى**». وفي لفظ: «**قصوا الشوارب وَوفِّروا اللِّحى خالفوا المشركين**».

وفي رواية مسلم عن أَبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنه قال:

«**جُزوا الشوارب وأَرخوا اللحى خالفوا المجوس**».

ففي هذه الأَحاديث الصحيحة الأَمر الصريح بإِعفاء اللحى وتوفيرها وإِرخائها، وقص الشوارب مخالفة للمشركين والمجوس، والأَصل في الأَمر الوجوب، فلا تجوز مخالفته إِلا بدليل على عدم الوجوب، وليس هناك دليل يدل على جواز قصها وتشذيبها وعدم إِطالتها، وقد قال الله عز وجل:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. «الحشر: ٧»

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. «النور: ٥٤»

وقال عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ «النور: ٥٦»

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقال النبي ﷺ:

(كلُ أُمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبى، قيل يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى). «رواه البخاري في صحيحه»

وقال ﷺ: **(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك مَن كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم).** «متفق عليه»

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد احتج الشيخ محمد الصابوني المذكور على ما ذكره بما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها. وهذا الحديث ضعيف الإسناد لم يصح عن النبي ﷺ، ولو صح لكان حجة كافية في الموضوع، ولكنه غير صحيح لأن في إسناده عمر بن هارون البلخي، وهو متروك الحديث. واحتج أيضاً الشيخ على ما ذكره بفعل ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يأخذ من لحيته في الحج مازاد على القبضة، وهذا لا حجة في روايته لا في اجتهاده، وقد صرح العلماء رحمهم الله أن رواية الراوي من الصحابة ومن بعدهم الثابتة عن النبي ﷺ هي الحجة، وهي مقدمة على رأيه إذا خالف السنة، فأرجو من صاحب المقال الشيخ محمد الصابوني أن يتقِّ الله سبحانه، وأن يتوب إليه مما كتب، وأن يصدَح بذلك في الصحيفة التي نشر فيها الخطأ، ومعلوم عند أهل العلم أن الرجوع إلى الحق شرف لصاحبه، وواجب عليه، وخير له من التمادي في الخطأ. وأسأل الله أن يوفقنا وإيَّاه وجميع المسلمين للفقه في الدين، وأن يعيذنا جميعاً من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، إنَّه جواد كريم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء
٢٤/٢/١٤١٥هـ

القِلَّة ممدوحة والكَثرةُ مذمومة

يظن بعض الناس أنَّ الكثرة هي المعتمد عليها وأن القلة لا عبرة لها وفي الحقيقة أنَّ هذا خلاف ما قرره القرآن والسنة قال الله تعالى مادحاً القلة :

١- ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ . «سبأ : ١٣»

٢- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ . «ص : ٢٤»

٣- ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . «الأنفال : ٢٦»

٤- ويقول الرسول ﷺ : **(طوبى للغرباء، قيل: ومَن الغرباء يا رسول الله ؟ قال: ناسٌ صالحون قليل، في ناسِ سوءٍ كثير، من يَعصيهم أكثرُ مِمَّن يُطيعهم)**.
«رواه ابن عساكر وصححه الألباني في الصحيحة» وقال الله تعالى ذاماً الكثرة .

١- ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ . «المائدة : ١٠٠»

٢- ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . «الأنعام : ١١٦»

٣- ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ . «الزخرف : ٧٨»

٤- ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . «يوسف : ١٠٣»

والذين يفتخرون بالكثرة غالباً ما يتصفون بالكذب ويجعلونه سبيلاً لمحاربة القِلة المؤمنة الصالحة التي تتصف بالصدق والأمانة، وقد مدح الله ورسوله الصادقين وذم الكذب وأهله :

١- قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ «التوبة : ١١٩»
يأمرنا الله تعالى في هذه الآية أن نكون مع الصادقين في كلامنا ووعودنا وأن نبتعد عن الكاذبين في كلامهم ووعودهم :

٢- قال ﷺ : **(أربعٌ من كُن فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة مِن النفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذب، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)** . «متفق عليه»

***

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

***